منهج الشهيد الصدر قدس سره

في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

تأليف

نعمة الحبيب النجار

هوية الكتاب

منهج الشهيد الصدر قدس سره

في التفسير الموضوعي للقران الكريم

المؤلف: ..... **الشيخ الدكتور نعمة الحبيب النجار**

عدد الصفحات:..... **٢١٨صفحة**

المطبعة:..... **الهدى**

السنة:..... **٢٠١٩-١٤٤١هـ**

الناشر:..... **المؤلف**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٩)

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى جميع شهداء الإسلام والمسلمين

وفي طليعتهم الشهيد السعيد محمد باقر الصدررحمه الله

ثمَّ من قضى نحبه دفاعاً عن وطننا الحبيب الجريح

وشهداء الحشد الشعبي والقوات الأمنيــة

خاصة شهداء (سبايكر المظلومين)

ووالديَّ الكريمين العزيزين

ولمن له حق عليّ

المقدِّمة

الحمد لله الذي وفقَّ من شاء لما شاء، وجعل من عباده من يرجو الثواب وحسن الثناء وأقامهم لسلوك الخير بالاصطفاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد صفوة الخلق وسيد الرسل والأنبياء، وعلى آله السادة النقباء، وأصحابه المنتجين الأتقياء.

وبعد تعتبر دراسة القرآن الكريم وتفسيره من أشرف العلوم التي يتعاطاها الإنسان باعتبار أن هذه الدراسة موضوعها كلام الله تعالى، وغرضها التوصل إلى ما أودعه سبحانه في قرآنه من معان وحكم .

وتعد صناعة التفسير من أشرف الصناعات التي يتعاطاها الإنسانُ، وذلك لشرف موضوعها وغرضها، ونلاحظ بأنَّ الجهود الموسوعية لتفسير القرآن الكريم اتخذت طريقتين هما :

الطريقة الأولى: الطريقة التجزئيَّة، وذلك باتّخاذ الآية، كمحور للبحث من جهات بلاغيَّة وعلمية وما أشبه ذلك من آفاق وهذا هو ما درج عليه معظم المفسرين، ولا شك في أهمية هذه الطريقة .

الا أنها تبقى قاصرة عن الفهم الشمولي الذي يحيط بأبعاد القرآن من خلال وحدة مترابطة مهما اختلفت أبعاده.

الطريقة الثانية : الطريقة الجمعية، وذلك بالنظر إلى السورة الواحدة كمجموع باعتبار أن كل سورة من سور القرآن الكريم وحدة واحدة ذات

موضوع مستقل بذاته حتّى في السور القريبة التي تشبه بعضها البعض الآخر كسورة الأعراف ويونس وهود ومريم والأنبياء.... من السور التي تتحدث عن قصص الأنبياء، فقصة موسى تكررت في القرآن ثمانية وعشرين مرة لكن في كل سورة تنسجم مع جو السورة، وما ينسجم مع موضوع السورة المستقل ولهذا لا يصح اقتطاع الآيات القرآنية والاستدلال بها بطريقة التجزئة مستقلة عن الإطار العام من السورة وهذا الإطار يقوم على وحدة السياق أو الوحدة الموضوعية للسورة.

ونلاحظ أن الطريقة الثانية قد خطت خطوة متطورة من حيث سعة الأفق، ولكن لم تخرج في حقيقتها من التفسير التجزئي فقد تخلصت من جزئيَّة الآية، لكنَّها لم تتجاوز جزئيَّة السورة مما يعني النظرة الانفصالية لكل سورة عن بقية سور القرآن الكريم، وهذا يعني أن فهم القرآن الكريم بحاجة إلى منهجية أخرى لايفهم القرآن بطريقة الآيات المتفرقة ولا بطريقة السورة المنفصلة، وإنَّما لا بد من فهم القرآن نفسه فهو الذي يفسر بعضه بعضاً مهما تعدَّدت الآيات وتنَّوعت السور.

ولكي نفهم قوله تعالى: ﴿اهدنا الصِّراط المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، نتساءل ما هو هذا الصراط؟ ومن الذين أنعم الله عليهم؟ فنجد الجواب في آية أخرى من سورة أخرى في قوله

---

١ – الفاتحة :٦-٧ .

تعالى: ﴿الَّذينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

وبهذه المنهجية من تفسير القرآن بالقرآن نكون قد اقتربنا من طريقة تغير التفسير التجزئي، وننحو منحى التفسير الموضوعي الذي يعد بحق فتحاً مبيناً في علم التفسير وإضاءة في فهم القرآن الكريم.

ومن هنا اتجه الشهيد الصدر للاشتغال في هذا العلم، وأبدع فيه مندفعاً من الفراغ الموجود في الوسط الديني نتيجة غياب هذا النوع من التفسير القرآني (الموضوعي)، ويبدو أن السيد الشهيد كان يطمح إلى أن يسهب في هذا الجانب ليفتح الباب للعلماء والباحثين، لانتهاج هذا السبيل ليس على نحو التأليف فقط وإنَّما ليكون من المقررات الدراسية في الحوزات والمعاهد العلميَّة، وكان المأمول بالفعل استمرار هذا المشروع ليصبح عملاً متكاملاً وموضوعاً للبحث العلمي، ولكن للأسف الشديد انقطع هذا الأمل انقطاعاً تاماً، وفي تقديرنا يعود هذا الانقطاع إلى سببين :

١- استشهاده على يد الظلمة الطواغيت.

٢- غياب هذا المشروع عن الذهنية السائدة، وإلا كان من المفروض أن يستمر هذا المنحى من تطوير التفسير الموضوعي حتّى بعد استشهاده ولكن لم يتحقق ذلك لعدم الانتباه لأهمية هذا الموضوع وطروء شواغل أُخرى في الفكر الإسلامي من قبيل رد الشبهات التي هي بدورها تكريس للفكر

---

١ - النساء: ٦٩ .

التجزئي وتناول مفردات من الآيات للاستدلال على مسائل متفرقة عقيدية أو فقهية بعيداً عن جانب التفسير الموضوعي.

وإذا أطلعنا على الكتاب (المصدر) لمؤلفه السيد الصدر، وهو (المدرسة القرآنية) والذي كان عنوانه الأصلي (مقدمات في التفسير الموضوعي) سنجده يحتوي على مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وعلى بحوث في علوم القرآن مع مقالات قرآنية، ولكنَّ ذلك على سبيل القواعد العامة في سبيل تأسيس منهجية للتفسير الموضوعي.

أهميّة الموضوع :

إذا ذهبنا إلى الدافع لتصدي السيد الشهيد لهذه المسألة، فيمكن الوقوف على أحد أهم الدوافع وهو المعاناة العلميَّة اليومية؛ حيث وجد ان الاتجاه الموضوعي في الأبحاث الفقهية أثبت وجوده بينما وجد إلى جانب ذلك غياباً للاتجاه الموضوعي في الأبحاث القرآنية، يقول (ذكرنا أن الأبحاث الفقهية سارت في الاتجاه الموضوعي بينما التفسيرية سارت في الاتجاه التجزئي) ويعقد هنا مقارنة بين التفسير والفقه.

إن البحث الفقهي لم يبدأ بالطريقة الموضوعية التي ظهرت فيما بعد، فقد نشأ الفقه في حضن علم الحديث وكانت مصادر الحديث قد سبقت في إتباع المنهج الموضوعي كما هو الحال في الكتب الأربعة الحديثية، وأستمر المنهج الموضوعي في كتب الحديث اللاحقة، مثل : العلامَّة النوري في مستدركه على وسائل الشيعة بينما بدأ البحث الفقهي انطلاقه بمنهجية

تجزيئية، فالكتب القديمة في الفقه بدأت بتناول كل حديث وشرحه بمفرده والبحث عنه من حيث السند والمتن والدلالة فقام الفقه على شرح روايات كتب الحديث الأربعة ثم الوسائل بدراسة كل رواية منفصلة عن بقية الروايات، ثمَّ تطور البحث الفقهي بالانتقال من المنهج التجزئي إلى المنهج الموضوعي وأخذ طريقة تصنيف المسائل بحسب وقائع الحياة، واستدعت من أجل ذلك الأدلة من الأحاديث، وهذا هو التصنيف وفقاً لمواضع الحياة وما يمكن أن نسميه الفقه الموضوعي مثل: بحوث البيع، الوكالة، والنكاح، والطلاق، وهنا يقوم الفقيه بجمع الروايات تحت عنوان خاص ويشرحها ويقارن بينها، ثم يخرج بنظرية، فهو لا يكتفي بفهم معنى الرواية بصورة مستقلة، وإنَّما يصل إلى الحكم الشرعي عن طريق دراسة مجموعة من الروايات التي تحمل مسؤولية توضيح حكم أو باب واحد من أبواب الحياة ثم عن طريق هذه الدَّراسة الشاملة يستخرج نظرية واحدة التي تعطى من قبل مجموعة من الروايات لا من قبل رواية هذا هو الاتجاه الموضوعي في شرح الأحاديث[1]، وفي جانب آخر يلاحظ الغياب التام للاتجاه الموضوعي في معظم البحوث القرآنية والتفاسير، فيقول السيد: (نجد أن العكس هو الصحيح على الصعيد القرآني حيث سيطر الاتجاه التجزئي في التفسير على الساحة عبر ثلاثة عشر قرنا تقريباً إذا كان كل مفسر يبدأ كما بدأ سلفه ، فيفسر القرآن آية آية)[2]، فهنا تأكيد على أنه بقدر بروز الاتجاه الموضوعي على

---

١ – أنظر: الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص.٢٦.

٢ – المصدر نفسه، ص٢٧.

الساحة الفقهية بقدر ما نجد من سيطرة للاتجاه التجزئي على الساحة القرآنية في التفسير، وللسيد الشهيد نظرة نقدية لبعض الدراسات التي تسمى بالتفسير الموضوعي من قبيل الدراسات الشائعة لبعض المفسرين حول موضوعات معينة مثل أسباب النزول، أو الناسخ والمنسوخ، أو مجازات القرآن، ويجد أنها ليست من التفسير الموضوعي (التوحيدي)، وإنَّما هي مجرد تجميع عددي لقضايا من التفسير التجزئي لوحظ فيما بينها شيء من التشابه، يقول : (ليست كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية إنما الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائدية الاجتماعية الكونية، وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)[1].

ويصل السيد الشهيد إلى نتيجة من خلال المقارنة بين التفسير والفقه قد لا تخلو من مظهر قسوة ولكنَّها قسوة الواقع؛ حاصل هذه النتيجة ان الاتجاه الموضوعي في الفقه ساعد على تطوير الفكر الفقهي وإثراء الدراسات العلميَّة، بينما ساعد انتشار الاتجاه التجزئي في التفسير على إعاقة الفكر الإسلامي القرآني عن النمو المستمر، حتّى نكاد نقول: إن قروناً من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري، والرازي، والطوسي لم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقيَّة جديدة، وظل التفسير ثابتاً لا يتغير إلا قليلاً خلال تلك القرون على الرغم من ألوان التغيير التي حفلت بها الحياة في مختلف الميادين.

---

١ - المصدر نفسه، ص٢٧.

ولقد تناولت في هذا الكتاب، موضوع التفسير الموضوعي عند السيد الصدر عبر فصول أربعة ومباحث متعددة في الخطوات التالية :

الفصل الأول بعنوان (السيد الصدر سيرته وفكره) ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : السيرة الشخصية، وتحدثت فيه عن السيرة الذاتية للشهيد الصدر، وابتدأتها بالتعريف عن نسبه الشريف، وأسرته الكريمة، وبعض الجوانب الأخرى التي تتعلق بها.

المبحث الثاني: السيرة الفكرية، وتكلمت فيه عن الذكاء المفرط الذي كان يتميز به (رحمه الله) وعن إنجازاته العلميَّة التي تفرد بها في مجال الدرس والتدريس والتأليف.

المبحث الثالث: تكلمنا في هذا المبحث عن بعض اللمحات الوجيزة من سيرته السياسية.

الفصل الثاني بعنوان :(أصول التفسير الموضوعي) ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :عرّفنا فيه بعض المفردات الهامّة كالأسلوب والمنهج (لغة واصطلاحاً)، وتكلمنا فيه أيضاً عن أنواع المناهج التفسيرية خصائصها، وعن بعض النماذج منها.

المبحث الثاني : وتكلمنا في هذا المبحث عن تاريخ التفسير الموضوعي، وعن نشأته وأسباب ظهوره، وعن أهم المؤلفات المعاصرة التي تناولته، وأمَّا

المبحث الثالث: وتحدثنا في هذا المبحث عن أسس وقواعد التفسير الموضوعي (العامّة والخاصّة).

واما الفصل الثالث الذي يحمل عنوان : (التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر). إذ يتكون كغيره من ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول :تحدثنا فيه عن معنى التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر، بعد أن ذكرنا عدة تعريفات للتفسير الموضوعي لبعض العلماء السابقين واللاحقين، ومن ثمَّ عقدنا مقارنة بين معنى التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر وآخرين.

المبحث الثاني: لقد قمنا في هذا المبحث بعقد مقارنة بين التفسير التجزئي والموضوعي وبينا أوجه الخلاف بينهما.

المبحث الثالث: وذكرنا في هذا المبحث شروط التفسير الموضوعي التي ينبغي على المشتغل في هذا التفسير مراعاتها والتقيد بها، وألحقنا به من باب الفائدة منهجية البحث في التفسير الموضوعي.

الفصل الرابع بعنوان (تطبيقات التفسير الموضوعي) ويتكون من مبحثين تطبيقين:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن السنن التاريخية في القرآن الكريم، وأما الثاني: تناولت فيه عناصر المجتمع في القرآن الكريم.

وبذلك يتم هذا العمل المتواضع آملين من القراء الكرام أن يتحفونا بملاحظاتهم ووجهات نظرهم القيمة، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

نعمة الحبيب النجار

١٤٤١ هـ -

الفصل الأول

(قبسات من سيرة الشهيد الصدر قدس سره)

المبحث الأول: السيرة الذاتية.

المبحث الثاني: السيرة الفكرية.

المبحث الثالث: الحياة السياسية.

المبحث الأول: السيرة الذاتية

لقد اهتم الباحثون والكتاب والمورّخون بالسيرة الذاتية للشهيد الصدر رحمه الله، وسر هذا الاهتِمام ما قدمته هذه الشخصية إلى المجتمع من معارف، وعلوم في مختلف الميادين الإنسانية، والسر نفسه هو الذي دفعني للكتابة عن سيرته العطرة، وجعلني اهتم بها، وكان حقاً على الباحث أن يقف أمام هذه السيرة العطرة ويتأمل فيها.

التعريف بنسبه الكريم :

ونسب الشهيد الصدر مثلما عرف وحقق في العديد من الكتب والمصادر- التي سنذكرها- كما يلي: (محمَّد باقر بن حيدر بن إسماعيل ابن صدر الدين بن صالح بن محمَّد بن إبراهيم (شرف الدين) ابن زين العابدين بن علي (نور الدين) بن (نور الدين) علي بن (عز الدين) الحسين بن محمَّد بن الحسين بن علي بن محمَّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمَّد، ولقبه (شمس الدين) بن عبد الله، ويلقب (جلال الدين) بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن (أبي السعادات) محمَّد ابن (أبي محمَّد) - نقيب نقباء الطالبين في بغداد- بن (أبي الحارث) محمَّد ابن (أبي الحسن) علي المعروف (بابن

الديلمية) ابن (أبي طاهر) عبد الله ابن (أبي الحسن) محمَّد المحدّث بن أبي الطيب طاهر بن الحسين القطعي ابن موسى (سبحة) بن إبراهيم (المرتضى) بن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمَّد الباقر بن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1].

فهو يرجع إلى نسب في غاية الرفعة، والسمو، وهو نسب آل أبي طالب الذين عرف عنهم، العلم، والخلق، والعفة، والشجاعة، والفصاحة، والسماحة. فلا استغراب من علمه، وأدبه، وفكره، وجهاده، وشجاعته، فقد تورث كل هذا من أولئك الأجداد الطبيين الطاهرين .

ولادته :

لقد ولد السيد **الصدر** في اليوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام **١٩٣٥م** الموافق للخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من عام **١٣٥٦ هـ**[2].

وكانت تلك الولادة بعد أكثر من عشرة أعوام من المولود الأول للأسرة الكريمة[3]، وكان مكان تلك الولادة في مدينة الكاظمية، هذه المدينة التي تعتبر من أهم مدن بغداد -العاصمة العراقية- والتي تضم بين أحضان تربتها،

---

١ - الحسيني، محمَّد، الإمام الشهيد الصدر دراسة في منهجه وفكره، ص١٩. النعماني، محمَّد رضا، سنوات المحنة وأيام الحصار، ص٢٦. الحائري، كاظم، الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف، نقلاً عن السيد عبد الغني الاردبيلي، ص١٣.

٢ - الحسيني، محمَّد، محمَّد باقر الصَّدر حياة حافلة وفكر خلاق ، ص٣٤.

٣ - الا ان العاملي يذكر بأنه ولد بعد ثلاثة عشر عاماً من الوليد الأول للعائلة .العاملي، أحمد ، محمَّد باقر الصَّدر،السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق،ج١،ص٩٦.

رفاة إمامين معصومين من أئمة الطائفة الأمامية، وهما: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، والإمام محمَّد بن علي الجواد عليه السلام، حيث تقصد هذه المدينة من قبل بعض الزائرين لأجلهما.

نشأته :

نشأ المولود الجديد في كنف أسرته، وهم في غمرة من الفرح والسِّرور به إلى أن صار عمره المبارك قرابة الثلاثة أعوام حيث خطف القدر، والده السَّيد حيدر الصَّدر عليه السلام في حلول عام ١٣٥٦هـ[١]، وله أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله، حيث فقد أباه وهو في بطن أمه، وعمره يناهز الستة أشهر أو السبعة أشهر كما ورد في بعض الأخبار[٢]، متخذاً من تلك الحادثة منطلقاً قوياً إلى الأمام، فقد وظف تلك الحياة في العلم والعمل، لا في النوم والكسل.

وبعد ذلك الفقد الأبوي فقد تكفله خاله الكبير عميد أسرة آل ياسين المرجع الشيخ محمَّد رضا آل ياسين، و قد شمله بما لم يشمله احد من العناية، والاهتِّمام، والعطف، والود، ولم يتخلف كلا خاليه عن برهما، وهما الشيخ راضي آل ياسين، والأخر الشيخ مرتضى آل ياسين، وكان لهما فضل كبير في التقدم الفكري، والعلمي، والاجتماعي لديه.

وأمّا الأخ الأكبرالسيد إسماعيل الصدركان له الدور الأكبر في تربيته الاجتماعية والعلميَّة، فهو كما وصفه الشهيد الصدر (... رافقته أكثر من ثلاثين

---

١ – الحائري، كاظم، المصدر السابق، ص٣١.

٢ – الشافعي، علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٥٧.

سنة كما يرافق الابن أباه، والتلميذ أستاذه، والأخ أخاه في النسب، وأخاه في الآمال والآلام، وفي العلم والسلوك..)

التعريف بالأسرة الكريمة :

حينما قرأنا في التَّاريخ، بأن أمير المؤمنين عليه السلام، لما أراد الزواج من أم البنين قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم:(أبغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس)[1].

فهو يبحث عن النسب الطاهر، والأسرة الرفيعة، وهذا ما لاحظناه على أسرة آل الصدر، فهي تلك الأسرة التي تمتاز: بالعفة، والطهارة، والأصالة.

ألقابها:

فلقد لقبت هذه الأسرة ألقاباً عديدة وكثيرة نذكر منها:

١. لقب آل الصدر: وهو من أشهر الألقاب التي لقبت بها الأسرة ولازالت تعرف بهذا اللقب بين القاصي والداني، نسبة إلى صدر الدين الجد الأعلى لهذه الأسرة[2]، وتذكر المصادر بأن أسرة آل الصَّدر تعد في طليعة الأسر

---

١ - الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٧،ص٤٢٩.

٢ - ومعروف(صدر الشيء يعني مقدمته) بن عباد، الصاحب، المحيط في اللغة، ج٢، ص٢١٤.

الموجودة في الكاظمية المقدسة[1]، لذلك يطلق لقب الكاظمي على أفراد هذه الأسرة، وقد يطلق بشكل خاص من البعض على السيد الشَّهيد رحمه الله.

٢. آل الحيدري، وقد ذكر الشيخ حسن الجواهري أنه وجد مكتوباً على نسخة الكفاية لوالده الشيخ محمَّد تقي الجواهري، أنه شرع بتدريسها لجملة من الطلبة منهم :السيد محمَّد باقر الحيدري ويعني به السيد الصدر[2].

٣. آل قطعي نسبة إلى الحسين القطعي بن موسى.

٤. آل حسن نسبة إلى أبي الحسن (واسمه عباس كما ذكره الميرزا النُّوري في خاتمة مستدرك الوسائل)[3].

٥. آل شرف الدين، وهذا اللقب معروفٌ لدى القارئ فقد تلقب به الكثير من أبناء هذه الأسرى، وعلى رأسهم السيد عبد الحسين، صاحب كتاب المراجعات والنص والاجتهاد، ولازال هذا اللقب يطلق على البعض من أبناء هذه الأسرة حتّى يومنا هذا.

السيد إسماعيل الصدر رحمه الله:

يعتبر السيد إسماعيل الصدر جد السيد الشهيد محمَّد باقر الصدر من العلماء الكبار المعروفين بين الأوساط العلميَّة، والطائفة الشيعية، والذي يقصد كأستاذ وله وزنٌ علميٌ، وثقل اجتماعي، وكان أحد مراجع التقليد، والده السيد صدر

---

١ - الحسيني، محمَّد، السَّيد محمَّد باقر الصَّدر حياة حافلة وفكر خلاق، ص٣٧.

٢- المصدر نفسه، ص٣٧.

٣ - الصدر، حسن، تكملة أمل الآمل، ص١٧٣، الحائري، كاظم، ص١٣.

الدين العاملي، وحينما توفي والده في سنة ١٢٦٤ هـ تربى في كنف أخيه السيد محمَّد علي المعروف (آقا مجتهد)؛ ثمَّ بعد ذلك هاجر من أصفهان إلى النجف، لغرض التتلمذ على يد الشيخ الأنصاري، ولكن ما إن وصل حتّى توفي الشيخ الأنصاري رحمه الله، فلم يثن ذلك من عزيمته عند أساتذة آخرين، واشتغل بالدرس والتدريس، ثم أصبح عالماً ومن خواص المجدد الشيرازي

وبعد وفاة السيد الشيرازي انتقلت المرجعية إليه، وكان زاهداً فيها ولهذا عزم على ترك سامراء والرجوع إلى النجف، وفي أثناء العودة وأثناء وصوله كربلاء استخار الله سبحانه في الذهاب إلى النجف، فكانت الاستخارة على خلاف مبتغاه، فظل في كربلاء المقدسة، واتخذها مقراً له، وأصبحت فيما بعد كعبة العلماء والفضلاء إلى أن تمرض سنة ١٣٣٤هـ فسافر إلى الكاظمية للعلاج، وتحسن في بداية الأمر، ولكنَّه تعرض لتدهور صحي نتيجة لكبر سنه وضعف مزاجه، وتوفي على أثر ذلك في ٢٨ جمادى الأخرى ١٣٣٨هـ حيث تم دفنه في مقبرة آل الصَّدر، وكان عالماً جليلاً يمتاز بخلق كبير قل نظيره عند الآخرين.

وكان من مواقفه التي تنم عن أخلاقه وتواضعه، أنه كان يدرس عند السَّيد المجدد الشيرازي، وكان السَّيد المجدد تلميذاً لأبيه، ولم يعرف بأن السيد إسماعيل هو ابن أستاذه، وحينما عاد والد السَّيد إسماعيل من الحج ذهب المجدد الشيرازي لزيارته، ففوجئ باستقباله من قبل السيد إسماعيل الصدر، فوقف متعجباً سائلاً: أنت السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين الأصفهاني؟ قال نعم فازداد السيد المجدد إعجاباً به.

أولاده :

خلف من بعده أولاداً أربعة كانوا جميعاً أية في العلم ومحاسن الأخلاق، وهم :

١- حجة الإسلام والمسلمين، آية الله السيد محمَّد مهدي الصدر.

٢ - حجة الإسلام والمسلمين، آية الله صدر الدين الصدر.

٣- حجة الإسلام والمسلمين، آية الله السيد محمَّد جواد الصدر.

٤-حجة الإسلام والمسلمين، آية الله السيد حيدر الصدر[١].

السيد حيدر الصدر :

وهو والد السيد الشهيد الصدر رحمه الله، وكان عالماً كبيراً جليل القدر، وقد وصفه السيد حسن الصدر قائلاً: (السيد الوحيد بن السيد حيدر أحد فضلاء عصره و - من- حسنات الزمان قوي النظر في الفقه والأصول عداده في الفضلاء المحققين)[٢].

وأما السيد عبد الحسين شرف الدين فيقول بحقه: (عرفته طفلاً من ذوي العقول الوافرة، والأحلام الراجحة، والأذهان الصافية، كان وهو مراهق في أوائل بلوغه لا يسبر غوره، ولا تفتح العين على مثله في سنه، تدور على لسانه مطالب الشيخ مرتضى الأنصاري ومن تأخر عنه من أئمّة الفقهاء .....إلى أن يقول .....والحق أن السيد حيدر قد بلغ من الفقه والأُصول على حداثة سنة

---

١ - الحائري، كاظم، ص٢٨.

٢ - الصدر، حسن، المصدر السابق، ص١٠٧.

مبلغاً يستوجب أن يكون في طليعة شيوخ الإسلام، وكان بناء شامخاً ملحوظ الشموخ في الأوساط العلميَّة، ولرأيه وزن عند المحققين، وقوله عندهم فصل الخطاب؛ وقد يورد المشكلة النَّظرية في فقه أو أصول فتدوي في الأوساط، وتتناولها أفكار الأساطين وألسنتهم بحثاً وجدلاً وأخذاً ورداً أياماً وأسابيع، ثم تظل في مكانها من الدقة والغموض، وتظل العقدة ـ الحيدرية ـ كما ساقها متقنة محتبكة، حتّى يبسط عليها من بيانه ما يحل مرتها ويكشف غموضها)[1].

توفي رحمه الله وهو في عمر العطاء في عمر قطاف ثماره العلميَّة، توفي وهو في السابعة والأربعين من عمره الشريف في العام (١٣٥٦) هـ ودفن في الكاظمية، وأعقب من الأولاد ثلاثة: إسماعيل، محمَّد باقر، آمنة[2].

السيد إسماعيل السيد حيدر الصدر :

وهو من العلماء الكبار الأجلاء الذين بهم رفع الدين القويم، وسدد لهم الخطى، وأفاض عليهم من بركاته، وعطائه، ولقد كتب ترجمته العديد من العلماء والباحثين، وكان في طليعتهم السيد الشهيد رحمه الله والتي نقلها عنه السيد شرف الدين في بغية الراغبين، لذلك آثرنا نقلها لكونها صادرة عن مقرّب منه: (كان رحمه الله آية في الذكاء والفطنة، وحضور الذهن، وسرعة الانتقال، ومن الأفذاذ في خلقه وتواضعه وطيب نفسه، وطهارة روحه، ونقاء ضميره، وامتلأ قلبه بالحب والخير لجميع الناس، رافقته أكثر من ثلاثين سنة كما يرافق الابن أباه، والتلميذ أستاذه، والأخ أخاه في النسب، فلم أزدد إلا إيماناً بنفسه

١- شرف الدين، عبد الحسين، بغية الراغبين، ج١، ص٢٦٤.

٢ - الحسيني، محمَّد، الصدر، محمَّد باقر، دراسات في حياته وفكره، ص٣٥.

الكبيرة، وقلبه العظيم، الذي وسع الناس بحبه. كنت أراه وهو في قمة شبابه منكباً على التحصيل والعلم، لا يعرف طعم النوم في الليل إلا سويعات ولا شيئاً من الراحة في النهار، وهو إلى جانب ذلك مكدود في العبادة والالتزامات الدينية التي تنميه روحياً ونفسياً وترعرع في كنف والده، وقرأ بعض المقدمات عليه، وقرأ السطوح على جماعة، كعمه الإمام السيد محمَّد جواد الصدر، والحجة الميرزا علي الزنجاني، وبعد أن أكمل السطوح تأهب للهجرة إلى النجف، وقد بلغ درجة عالية من الفضل أكبر نسبياً بكثير من مستوى دراسة السطوح، لما يتمتع به من ذكاء ونبوغ وجد. ولا أنسى أنّه ألف قبل هجرته إلى النجف (رسالة في طهارة أهل الكتاب)، (رسالة في حكم القبلة للمتحير)، وهما تدلان على نضجه العلمي، ودقَّة واستيعاب لا يصل إليهما عادة إلا من طوى مرحلة من بحث الخارج بجد وكفاءة، وحينما هاجر إلى النجف الأشرف حضر أبحاث آيات الله : الشيخ كاظم الشيرازي، والسيد محسن الحكيم، والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ مرتضى آل ياسين، وقد أجيز بإجازة الاجتهاد من السيد عبد الهادي الشيرازي، والشيخ مرتضى آل ياسين، وكتب آية الله الحكيم بشأنه في جواب جماعة يسألون عن حاكم شرعي يرجعون إليه في مرافعاتهم يشهد بأنه: حاكم شرعي نافذ الحكم.

وقد برهن عن نتاج فقهي جليل في تلك الفترة، وهو كتابة شرح استدلالي موسع لكتاب، (بلغة الراغبين في فقه آل ياسين)، وهو الرسالة العملية لآية الله الشيخ محمَّد رضا آل ياسين، وقد شرح هذا المتن الفقهي في عدة مجلدات

تربو على آلاف الصفحات، وهو شرح يدل على مرتبة عالية من الاجتهاد، والفقاهة وسعة الاطلاع.

شرع رحمه الله في تدريس الخارج، وحضر عليه جماعة من الطلبة نصف دورة كاملة من الأصول (الخارج)، وقد انقطع تدريسه هذا برجوعه إلى الكاظمية حوالي سنة (١٣٨٠) هـ حيث أصبح هناك محور العلم والدين، ومركزاً لزعامتها الدينية، وقد بدأ في الكاظمية ببحث في التفسير كان يحضره أكثر من مئة من الجامعيين والمثقفين، وقد ازدهرت الحياة العلميَّة وأساليب العمل الديني، والتبليغ على يده ازدهاراً كبيراً...)[1].

آمنة العلوية :

نستطيع أن نجزم بقولنا: بأن آمنة العلوية الملقبة بـ(بنت الهدى) العلوية الطاهرة اختلفت عن غيرها من نساء عصرها سواء من تربين في البيتوتات الدينية أو المؤسسات الأكاديمية، حيث إنها انتحت منحى قل نظيره في تلك الفترة، فحينما تقرأ في سيرتها العطرة تجدها تجمع بين الأصالة والحداثة بين الفقه والأدب، لتمثل خطوة جديدة لم تسبق بمثلها ولا ببعدها حتّى لم يأتِ بعدها من يشغل مكانها مع وجود محاولات من بنات جنسها جئن بعدها أمثال المرأة الفاضلة والعالمة الجليلة الزهراء بنت الإمام الخميني رحمه الله.

ولادتها:

١ – شرف الدين، عبد الحسين، المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٩.

وأما ولادتها فتذكر المصادر بأنها ولدت في (٩/محرّم الحرام/١٣٥٦هـ ١٩٣٧/٤/١م) و سميت آمنة تيمناً باسم أم الرسول الأكرم محمَّدﷺ آمنة بنت وهب[١].

نشأتها:

إن النشأة عند الفرد الإنساني لها وقع خاص، فحينما ينشأ كما هو معروف في بيت علم ومعرفة وورع، فمن الطبيعي أنه يتخرج من تلك المدرسة، وهو يحمل ما يحمل منها ويكون العكس من ذلك إذا نشأ في بيئة بعيدة كل البعد عن المثل والقيم والأخلاق والمبادئ. فتذكر المصادر بأنها نشأت برعاية أخوالها من آل ياسين، وأخيها السيد إسماعيل الصدر، ولازمت أخاها الشهيد محمَّد باقر الصدر مدة حياتها دون أن تتزوج[٢].

دراستها:

ذكرنا فيما تقدم بأنها نشأت تحت رعاية أخوالها وأخيها ولازمت أخاها الشهيد الصدر فمن الطبيعي أن تكون تلميذة هذه المدرسة وخريجتها، فيذكر صاحب موسوعة الشهيد الصدر أحمد العاملي بأنها درست مقدمات العلوم وأكملتها على يد أخويها السيد إسماعيل والسيد محمَّد باقر الصدر[٣].

---

١ – العاملي، أحمد، محمَّد باقر الصَّدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج١، ص٨١.

٢ – الحسيني، محمَّد، المصدر السايق، ص٤٥.

٣ – العاملي، أحمد، المصدر السابق، ج١، ص٨١.

نتاجاتها ومساهماتها:

قامت الشهيدة بعدة نشاطات على مستوى الساحة العلميَّة والثقافية نذكر منها :

١- أشرفت على المدارس الدينية في النجفالأشرف والكاظمية، وكانت تنتقل بين الكاظمية والنجف لهذا الغرض.

٢- إحياءها العديد من المجالس والندوات النسائية.

٣- قياهما بإلقاء العديد من المحاضرات والدروس.

٤- كانت لها من ضمن تلك النشاطات كتاباتها في (مجلة الأضواء) التي أصدرتها جماعة العلماء.

٥- إصدارها مجموعة من الروايات منها :

الخالة الضائعة.

الفضيلة تنتصر.

ليتني كنت أعلم.

امرأتان ورجل.

لقاء في المستشفى.

الباحثة عن الحقيقة.

ذكريات على تلال مكة.

صراع من واقع الحياة.

٦- قامت بتأليف عدة كتب منها :

المرأة مع النبي عليه السلام.

بطولة المرأة المسلمة.

كلمة ودعوة.

٧- نشرت العديد من القصائد في عدة مجلات كالأضواء، وغيرها.[١]

وفاء الأخوة:

لقد كانت نعم المرأة الملازمة لأخيها، حيث إنها لم تترك الشهيد الصدر في ساعات العسر فضلاً عن ساعات اليسر، فحينما تعرض الشهيد الصدر إلى الاعتقال فهي لم يهدأ لها بال ولم تستقر لها نفس .

ويقول سماحة السيد الحائري حينما اعتقل السيد الشهيد في صباح الثلاثاء الموافق السابع عشر من رجب....خرج السيد الشهيد وكنت برفقته وكذلك الأخ الشيخ طالب الشطري، والشهيدة السعيدة بنت الهدى، وعقيلته الطاهرة أم جعفر، ورافقنا أيضاً خادم السيد (الحاج عباس)، ويكمل سماحته كلامه حيث يقول:وخلال سيرنا في الزقاق المؤدي إلى شارع الإمام زين العابدين عليه السلام سبقتنا الشهيدة بنت الهدى ووقفت كأنَّها زينب لم تأبه بالمجرمين الذين تتقطر وجوههم شرّاً وحقداً ووحشية.

وبدأت خطبتها التاريخية التي تعتبر وثيقة مهمة من وثائق الثورة الإسلامية في العراق، فبدأت تتكلم وكأنها ترميهم بحجارة من سجيل فقالت رضوان الله عليها:

---

١ - الحسيني، محمَّد، المصدر السابق، ص٤٦.

أنظروا ..أخي وحده بلا سلاح بلا مدافع ورشاشات أما أنتم بالمئات ..أنظروا وأشارت إلى الجموع هنا وهناك، فهل سألتم أنفسكم : لم هذا العدد الكبير ؟ولم كل هذه الأسلحة؟لأنكم تعلمون أن أخي ليس وحده بل معه كل العراقيين..إلى أن يقول ...ولا زالت مستمرة في إطلاق كلامها وتقريعها لهؤلاء الصداميين، واستمرت خطبتها خمس عشرة دقيقة، فلم يجرأ أحد من الجلاوزة على منعها، فقد كان صوتها الزينبي وكلماتها الثائرة أقوى من كل قوة، لقد أربكت الجلاوزة وأرعبتهم ولم تدع لهم من سبيل إلا الاختفاء في الأزقة[1].

١ – الحائري، كاظم، المصدر السابق، ص١٧٨ .

المبحث الثاني : سيرته الفكرية

١- الذكاء المفرط :

لقد تميَّز السيد الشهيد الصدر بذكاء مفرط قل نظيره عند الآخرين، فقد خاض في مختلف العلوم وجد بها واجتهد فيها من فلسفة وأصول و فقه وتفسير واقتصاد ومنطق وسياسة وغير ذلك ، فهو لم يكن عالماًفي مجال اختصاصه فقط، بل تشعب فكره، ليمتد إلى بقية العلوم ويكون متميزاً بها، فحينما كتب في الاقتصاد تصوره الشيوعيون الماركسيون بأنّه مختص بعلم الاقتصاد، وحينما كتب في المنطق، كالأسس المنطقية للاستقراء، وناقش المنطق الأرسطي ورد عليه، اعتقده البعض بأنه من المختصين في هذا العلم، والمتمرسين فيه، وحينما كتب في المجتمع من خلال كتابه (الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية). وجدناه قد حقق تميزاً ملحوظاً وواضحاً، و كيف حاول أن يضع الحلول الناجعة للمجتمع، وبما يتوافق والدين الإسلامي الحنيف.

فمنذ نعومة أظفاره، كان معروفاً بذكائه على صعيد المستوى العلمي، والاجتماعي والديني من خلال مواقف كثيرة، كان أبرزها :

قيامه بإلقاء الخطب والقصائد التي كان يهيئها له معلّموه، في المواكب الحسينية التي تنظمها المدرسة، فقد كان في كل عام من يوم عاشوراء، أو في وفيات بعض الأئمة الأطهار يرتقي المنبر المعّد له في الصحن الكاظمي ليلقي القصيدة، أو الكلمة، في المناسبة عن ظهر قلب، ويقول محمَّد علي الخليلي: كثيراًما كنت أسمع أنا وغيري من الطلاب كلمات الاستحسان والتعجب و التشجيع من قبل الناس المحتشدين، حول موكب مدرستنا (مدرسة منتدى النشر في الكاظمية)، وقد أعطى في هذه السنة، لموكبنا منزلة قد تفوق منازل المواكب الأخرى. وأما على مستوى المدرسة فقد كان متميزاً على أقرانه فريداً بأسلوبه، حيث يقول: كان يجلس في زاوية من زوايا المدرسة ينفرد بها، ولم يقربها غيره احتراماً له، و كان ذلك في كل استراحة بعد كل محاضرة في الصف، وكان يلتف حوله في تلك الزاوية عدد من أترابه التلاميذ، ورفاق صفه أو من الصفوف العليا، فحينما كان عمره في التاسعة تقريباً، كان يجلس في تلك الزاوية ويتكلم بكلام لم يسمع به أقرانه، بل الذين يفوقونه بالعمر ولأول مرة تطرح مصطلحات : الماركسية، والإمبريالية، والانتهازية، وأسماء فلاسفة (فكتور هوغو) و(غوته)[1].

٢- دراسته الدينية (الحوزوية) :

من المعروف عند المختصين في الدراسات الدينية، بأن هناك تقسيماً قد تعارفوا عليه للدروس الحوزوية، فهناك ثلاث مراحل: (المقدمات والسطح

---

١ - المصدر

والخارج)، بعدها يتأهل الطالب للوصول إلى الاجتهاد، ومن ثم التصدي للمرجعية وذلك بتوفيق من الله .

وعلى أية حال فقد أكمل الشهيد الصدر دراسة المقدمات في مسقط رأسه، (مدينة الكاظمية المقدسة)، وكان من أهم أساتذته: السيد إسماعيل الصدر رحمه الله، وكان يبلغ من العمر أحدَ عشر عاماً، ثم بعد ذلك غادر إلى النجف الأشراف من الكاظمية المقدسة في سنة (١٣٦٥هـ -١٩٤٥م).

أما مرحلة السطوح فيذكر السيد الحائري والسيد عبد الغني الاردبيلي أنه قرأ أكثر الأبحاث بدون أستاذ. [١]

ألا أن الحسيني يقول :(ولا يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن سيره الثقافي في هذه المرحلة سوى أنّه حضر لوقت قصير لدراسة كتاب (اللمعة الدمشقية) عند الشيخ محمَّد تقي الجواهري المولود ١٣٤١هـ -الَّذي لا يزال مصيره مجهولاً في سجون النظام العراقي-في مدرسة الخليلي الكبرى)[٢].

وقد واظب الشهيد الصدر على طريقته الخاصة في دراسة المناهج (الكتب) المقررة التي اعتمد فيها بشكل مباشر على إمكاناته، وقدراته الذاتية ، في مرحلة (السطوح العالية) تلك المرحلة التي تؤهل الطالب للدراسات العليا (بحث الخارج).

ويبدو أنه وإن لم يفارق طريقته الخاصة المشار إليها آنفاً، حضر عند عدد من الأساتذة وهم :

---

١ - الحائري، المصدر السابق، ص٥١.

٢ - محمَّد، الحسيني، المصدر السابق، ص٥٢.

١- الشيخ محمَّد تقي الجواهري، حضر عنده الشهيد الصدر لدراسة كتاب (الكفاية)، وقد ذكر ذلك نجله الشيخ حسن الجواهري في رسالة خاصة انه رأى بخط والده على الجزء الأول من كفاية الأصول ما نصه «شرعت في تدريسها إلى... والسيد باقر الحيدري»، وذكر الشيخ حسن في الرسالة ذاتها، أنه سأل والده عن السيد باقر الحيدري، حيث لم يكن معروفاً لديه، فأجابه والده بأنه السيد محمَّد باقر الصدر[١].

٢- السيد باقر الشخص (١٣٨١) هـ، وقد حضر عنده السيد الشهيد قسماً من كتاب (الكفاية) أيضاً.

٣- السيد محمَّد الروحاني، ويبدو أن الشهيد الصدر حضر عنده (الكفاية) و(المكاسب) غير أن السيد محمَّد باقر الحكيم ينفي أن يكون السيد الشهيد درس عند السيد الروحاني، وإنما بحكم علاقته الوثيقة بالسيد الشهيد فإنه اتفق معه بأن يقرأ في (الكفاية) ثم يحضر عنده ويلقيه عليه ليعرف ما إذا كان هناك ثمة غموض أو توهم في ضبط المضامين المعمقة[٢].

أما في مرحلة البحث الخارج، فقد درس وتتلمذ عند علماء كبار، كان في مقدمتهم العالمين الجليلين :

١- آية الله الشيخ محمَّد رضا آل ياسين.

٢- آية الله السيد أبو القاسم الخوئي.

---

١ - المصدر نفسه، ص٥٣.

٢ - الحسني، محمَّد، المصدر االسابق، ص٥٣. العاملي، أحمد، محمَّد باقر الصَّدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج١، ص١٤٨.

وينقل لنا السيد عبد الغني الأردبيلي حادثة عن الشيخ آل ياسين تنم عن ذكائه، وفطنته حيث قال: إن أستاذنا المرحوم السيد إسماعيل الصدر، حينما انتهى بحثه إلى هذه المسألة (أن الحيوان هل يتنجس بعين النجس، ويطهر بزوال العين، أو لا يتنجس بعين النجس) طلب من تلاميذه أن يبينوا ثمرة الفرق بين القولين، فقال: أنا الآن أطلب منكم أن تأتوا إلي غداً بعد التفكير والتَّامل بثمرة القولين .

فحضر شهيدنا الصدر في اليوم التالي قبل الآخرين لدى أستاذه وقال: «إني جئت بثمرة للقولين، فتعجب الشيخ آل ياسين من ذلك، لأن صغر سنه كان يوحي للشيخ آل ياسين أن حضوره الدَّرس ليس حضوراً اكتسابياً بالمعنى الحقيقي للكلمة وإنما حضور ترفيهي»[1].

٣- تعليقته على بلغة الراغبين :

ومما يذكر عن نبوغ وذكاء السيد الشهيد في تلك الفترة، والمكانة التي وصل إليها، وهو في سن مبكرة، أنه لما توفي الشيخ آل ياسين رحمه الله سنة (١٣٧٠هـ—١٩٥٠م) علق المرحوم آية الله الشيخ عباس الرميثي على رسالة آل ياسين المسماة ((بلغة الراغبين))، ولشدة اعتقاده بذكاء ونبوغ السَّيد الشهيد، طلب منه حضور المجلس الخاص بكتابة التعليقة ليشارك بعملية الاستنباط، ولقد كتب السَّيد الشهيد تعليقة على بلغة الراغبين للشيخ آل ياسين، ومما يؤيد ذلك أن الشيخ النعماني يقول: كانت بعض المخلفات، والمتروكات من

---

١ - الحائري، كاظم، سمو الذات وسمو الموقف، نقلا عن السَّيد عبد الغني الاردبيلي، ص٥٢ - ٥٣.

حاجيات منزل السيد الشَّهيد قد حفظت في صناديق، ووضعت في (سرداب) المنزل، فدفعني أمل العثور على التربة، -وهذه التربة-، قد أهديت إلى السيد حيدر من (كليدار) الحضرة الحسينية، وكان من كراماتها تحول لونها في وقت الزوال من اليوم العاشر إلى أحمر قاتم وكأنه علقة دم، وبعد الزوال يعود لونها إلى ما كان عليه.

فكان السيد الشهيد يقول: كنّا لا نشك في يوم العاشر من المحرم بسبب خاصية هذه التربة المقدسة. وكنت في أوقات الفراغ أقلب محتويات تلك الصناديق، وأفتش صغيرها وكبيرها بحثاً عنها، فلم أعثر على شيء إلا أني وجدت في أحد الصناديق مجموعة كبيرة من الأوراق والدفاتر.

كان منها النسخة الأصلية لكتاب اقتصادنا، ووجدت كتاب عليه تعليقات بخط السيد الشهيد فأخذتها مسرعاً وقدمتها لسماحته، وقلت له: لعل هذه هي تعليقتكم على (بلغة الراغبين)، فأخذها السيد الشهيد رحمه الله وقلب صفحاتها ثم قال: نعم هذه تعليقي على(بلغة الراغبين). وبعد ذلك حاول أن يعرف مقدار الفرق الحاصل في فتواه، ما بين تاريخ تعليقته على (بلغة الراغبين)، وحتّى تاريخ كتابه الفتاوى الواضحة، فوجد بعد الفحص والتدقيق أن التطابق بين الفتاوى كبير جداً، وموارد الاختلاف يسيرة وقليلة[1].

ونتم البحث والكلام عن رحلته العلميَّة، حيث يشير السيد عبد الغني الأردبيلي: بأنَّه حضر درس أستاذه السيد الخوئي فقهاً وأصولاً، وأنهى تحصيلاته الأصولية في (١٣٧٨هـ)، والفقهية في سنة (١٣٧٩هـ)، وكانت مدة

١ -النعماني، محمَّد رضا، سنوات المحنة وأيام الحصار، ص٥٤.

تحصيلاته العلميَّة من البداية إلى النهاية، نحو سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة[1].

وقد يستغرب البعض، ويسأل، هل يمكن لإنسان أن يقطع هذا الشوط العلمي الكبير بهذا العمر القصير؟ نقول: (نعم يمكن ذلك، فحينما يتدبر المتدبر في سيرة هكذا رجل لا يأخذه الاستغراب، ولا يصاب بدهشة، فقد أجاب سماحة السيد الأردبيلي عن هذا التساؤل قائلاً: (إنه كان يستثمر من كل يوم ستة عشر ساعة، لتحصيل العلم حين استيقاظه من النوم في اليوم السابق إلى ساعة النوم في اليوم اللاحق كان تلاحقه المطالعة والتفكير عند قيامه وقعوده ومشيه)[2].

٤- بعضاً من ذكرياته نقلاً عن طلابه:

حينما يكون هناك إخلاصٌ حقيقيٌ في الدَّرس والتَّدريس، يكون هناك قربٌ بين الأستاذ والطالب، هذا القرب مشوبٌ بالاحترام المتبادل، بحيث يصبح الأستاذ بمثابة الأب لطلبته، والطلبة بمنزلة الأبناء، فتعتبر هذه العلاقة من أوثق العلاقات، ومن أصدقها في العطاء العلمي والأخلاقي.

فينقل السيد الحائري والذي كان من أبرز طلابه عدة مواقف عن السيد الشهيد كان قد عاصرها، نورد البعض منها على سبيل الإيجاز:

١- (يعمل باليوم بقدر خمسة أشخاص).

---

١ - الحائري، كاظم، المصدر السابق، نقلاً عن الأردبيلي، ص٥٤.

٢ -المصدرنفسه، ص٥٤.

كان يقول : إنني في أيام طلبي للعلم كنت أعمل في ذلك كل يوم بقدر خمسة أشخاص مجدّين.

وليس ذلك غريباً حينما يكون الطالب كل ما يريده :هو تحقيق هدفه، والذي جاء إلى طلب العلم من أجله، ويضحي من أجل ذلك بوقته، وبراحته وبمختلف لذاته، بل تصبح لذته الأولى والأخيرة هي طلب العلم مسخراً جميع طاقته لها، فعند ذلك ينزل الله سبحانه وتعالى الحكمة والمعرفة عليه، فإذا كان الحديث يقول: «من أخلص العبادة لله أربعين يوماً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1]، فكيف بالذي أخلص طوال عمره.

٢- رغم الفقر والفاقة يشتغل في طلب العلم :

ويقول كذلك: إنني كنت أعيش في منتهى الفقر والفاقة، وكنت أشتغل منذ استيقاظي من النوم إلى أن كنت أفاجأ من قبل العائلة وهم يطالبونني بطعام يأكلونه، فأظل حائرا في أمري ... سلامٌ عليك سيدي أبا جعفر، أين نحن منك؟.

٣- الموقف الثالث :(مواظبته على زيارة أمير المؤمنين).

يذكر السيد الحائري بأن له ورداً خاصاً، عند قبر الإمام علي عليه السلام، حيث يقول :إنه كان في فترة من الزمن أيام طلبه للعلم يتشرف بالذهاب يومياً ساعة في اليوم إلى الحرم الشريف، لغرض التفكير في المطالب العلميَّة، والاستلهام من بركات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

١ - المجلسي، باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص٣٢٦.

وجرت هذه العادة ولم يكن أحد مطلعاً عليها، وإذا بامرأة في بيت الأستاذ ولعلها والدته الكريمة -والشك والتردد على حد تعبير سماحة السيد الحائري منه وليس من السيد الشهيد- رأت في المنام أمير المؤمنين عليه السلام يقول لها : ما مضمونه قولي لباقر: لماذا ترك درسه الذي كان يتتلمذ به لدينا؟.

٤- الموقف الرابع : موقفه في الحسينية الشوشترية(إرث العبادة، والتخوف من إرث المرجعية):

كان الأستاذ الشهيد يصلي في الحسينية الشوشترية صلاة الجماعة إماماً، فاتفق ذات يوم أنه غاب عن صلاة الجماعة لعذر ما، فطلب جمع من المؤمنين، من السيد محمَّد الصدر ابن المرحوم السيد محمَّد صادق الصدر، أن يؤم الناس في ذلك اليوم بدلاً عن الأستاذ، فاستجاب السيد محمَّد الصدر لطلب المؤمنين (وكان ولد ابن عمه ومن تلامذته، وكان معروفاً بالزهد والورع والتقوى) فصلى الناس خلفه جماعة، ثم أُطلع أستاذنا الشَّهيد على ذلك، فبان الأذى عليه، ومنع السيد محمَّد الصدر أن يكرر العمل ذاته، وكان السبب في ذلك - على رغم علمه بأنه أهل لذلك ومحل لإمامة الجماعة- للتعارف الذي كان سائداً لدى قسم من أئمة الجماعة، وهو الاستعانة في غيابهم بنائب عنهم يختار من أقربائهم أو أصحابهم، لا لنكتة موضوعية، بل لأنه من أقربائه أو أصحابه.

فلهذا منع ولد ابن العم عن هذا العمل مادام قابل في نظر الناس لتفسير غير صحيح على رغم علمه بتحقيق الشرائط والمصالح فيه[١].

١ - الحائري، كاظم، المصدر السابق، ص٦٥.

ففي هذا الموقف يريد أن يري الآخرين ومن مختلف طبقات المجتمع بأنَّ الدين ليس وراثة، وبأنَّ الدين شعاره لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وبأنَّ الدين شعاره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وبأنَّ الدين، دين القرب إلى الله والكفاءة لا دين الأقرباء والأصدقاء والمحسوبيات.

٥- إنجازاته العلميَّة :

أ- رعايته المشاريع الإسلامية: لم تكن رعاية السيد الشهيد تختص بالمشاريع الإسلامية التي تكون من تأسيسه، أو التي تنسب إليه، بل كان لا يتأخر عن بذل الرعاية لكل مشروع إسلامي حتّى غير المنتسب إليه ما لم يأبَ أصحابه عن ذلك .

ب- مدرسة العلوم الإسلامية.

ج- جماعة العلماء في النجف.

د- كلية أصول الدين.

٦- انجازاته الفكرية :

ويمكن القول أن معظم إنجازاته الفكرية كانت في مطلع شبابه، إلا أنه لم يكف عن العطاء إلى ما قبيل استشهاده، وهو ما يظهر من قائمة إنجازاته الفكرية وتواريخ إصداراتها:

* فدك في التاريخ (ط ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م كتبه قبل هذا التاريخ).
* غاية الفكر في الأصول.
* فلسفتنا (ط ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩ م).

* إ قتصادنا (ط ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م).

* الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية (ط ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م).

* ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي (ط ١٣٤٨ هـ - ١٩٦٤م).

* المعالم الجديدة في الأصول (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م).

* البنك اللاربوي في الإسلام (١٣٨٩ هـ -١٩٦٩ م).

* بحوث في شرح العروة الوثقى (١٣٩١هـ - ١٩٧١ م) .

* تعليقة على منهاج الصالحين (ط ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م) بين يدي هذا التَّاريخ ولعله قبله.

* الفتاوى الواضحة (ط ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) بين يدي هذا التَّاريخ ولعله قبل هذا التَّاريخ.

* الأسس المنطقية للاستقراء (ط ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م).

* بحث حول الولاية/ مقدمة لكتاب (تاريخ الشيعة الأمامية وأسلافهم للدكتور عبد فياض).

* بحث حول المهدي/ مقدمة لموسوعة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) للسَّيد محمَّد الصَّدر.

* نظرة عامة في العبادات/ طبع مع الفتاوى الواضحة.

* المرسل، الرسول الرسالة/ مقدمة الفتاوى الواضحة.

* موجز أحكام الحج.

* تعليقة على (بلغة الراغبين) يعود تاريخها إلى ما بعد (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠ م).

* تعليقات على صلاة الجمعة من كتاب الشرائع.
* تعليقات على كتاب الأسفار لملا صدرا في الفلسفة.
* دروس في علم الأصول ٤ أجزاء (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م).

وله عدد من المحاضرات في التاريخ طبعت باسم (أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف) ومحاضرات في التفسير، بعنوان (التفسير الموضوعي والسنن التاريخية في القرآن) جمعت فيما بعد مع المحاضرات التي كتبت في علوم القرآن تحت عنوان (المدرسة القرآنية).

٧- ما كتب عنه:

لقد قام العديد من الباحثين والمختصين بالكتابة عن الشهيد الصدر وعن سيرته العطرة بمختلف جوانبها منهم :

١- منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي .. عبد الجبار الرفاعي.

٢ـ محمَّد باقر الصدر .. تكامل المشروع الفكري والسياسي .. صائب عبد الحميد .

٣ـ تلامذة الإمام الشهيد الصدر .. السيد محمَّد الغروي، وهو بحث فريد من نوعه حول التَّاريخ لتلاميذ الشهيد الصدر ومحاولة إحصائهم وتسجيل الانطباعات حولهم.

٤ـ محمَّد باقر الصدر .. دراسات في حياته وفكره .. نخبة من الباحثين.

٥ ـ خفايا وأسرار من سيرة الشهيد السيد محمَّد باقر الصدر .. الشيخ عفيف النابلسي، وكتابه عبارة عن مجموعة من الذكريات أيضاً.

٦ـ البعد الأخلاقي في شخصية الإمام الصدر .. عادل قاضي.

٧ـ فلسفة الصدر .. الدكتور محمَّد عبد العلاوي. باحث من الجزائر. وهو بحث فلسفي لاحق فيه المؤلف البعد الفلسفي من نتاج الشهيد الصدر وإنجازه الفكري.

٨ـ تجديد الفقه الإسلامي .. محمَّد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم .. شبلي الملاط. باحث لبناني.

وقد يكون غريباً تصدي باحث للكتابة عن (الإمام محمَّد باقر الصدر) من خارج الدائرة الإسلامية، كما هو شأن الدكتور شبلي الملاط في كتابه المذكور آنفاً، وهو المنتمي إلى غير الدين الإسلامي وتحديدا إلى المسيحية .

٩- الشهيد الصدر بين أزمة التاريخ وذمة المؤرخين .... مختار الأسدي.

١٠- سنوات المحنة وأيام الحصار..... محمَّد رضا النعماني.

١١- الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف .... السيد كاظم الحائري.

١٢- محمَّد باقر الصدر، حياة حافلة، فكر خلاق، محمَّد الحسيني .

١٣-الشهيد الصدر، ثورة شعب ومصير أمة ....عبد اللطيف الخفاجي.

المبحث الثالث :الحياة السياسية

لقد كان للسيد الشهيد العديد من الأدوار في الحياة السياسية، وذلك إيماناً منه في الدفاع عن دينه وأبناء شعبه، مما جعلته يدفع ثمن ذلك عن طريق اعتقاله عدة مرات من قبل السلطات الظالمة، ومن ثمَّ القيام بإعدامه لتنتهي تلك الحياة بنيل الجائزة الحقيقيَّة، وهي جائزة الشهادة، على أيدي هؤلاء الطغاة، وسوف نقتصر في ذلك الجانب من حياته على ذكر حالات الاعتقال التي تعرض لها كي يعرف القارئ الكريم مدى المظلومية التي حلت به وهو يتحمل ذلك من أجل الدين الإسلامي الحنيف، ومن أجل الدفاع عن المظلومين والمحرومين من أبناء وطنه.

اعتقالات السيد الشهيد الصدر

لقد تعرض الشهيد الصدر إلى عدة اعتقالات من قبل السلطات الظالمة، وكانت هذه الاعتقالات على أثر تخوف النظام من السيد الشهيد، ولما له من دور كبير في أوساط الشعب العراقي. فلقد كان أباً حنوناً لكل أبناء ذلك الشعب المظلوم وتذكر المصادر، بأنه قد اعتقل من قبل سلطات النظام أربعة اعتقالات، وكانت تحدث ضجة كبيرة في الوسط الجماهيري العراقي بعد

كل اعتقال، ومن ثم يتم إطلاق سراحه تخوفاً من الضغط الجماهيري، و من نقمة أبناء الشارع العراقي الثائر ..

١- الاعتقال الأول

لقد تعرض السيد الشهيد للاعتقال على يد سلطة النظام في تاريخ ١٣٩٢هـ في رجب، أو في أواخر جمادى الآخر، كما يقول: السيد الحائري على ضوء حملة إرهابية شنها النظام بقيادة المدير العام المجرم ناظم كزار الَّذي أعدم فيما بعد من قبل السلطة نفسها.

والقصة كما ذكر لي قائلاً : بلغني خبرحادثة تسمم، فطلب منا إيصاله إلى المستشفى، وكنت أنا والمرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي، فأخذناه إلى مستشفى النجف ورجعت إلى البيت وبقي معه السيد عبد الغني، ثم أخبرنا فيما بعد أن رجال الأمن طوقوا في تلك الليلة بيت الأستاذ، واقتحم البيت لغرض اعتقاله، وقال لهم الخادم : إن السيد غير موجود، ولا أعلم إلى أين ذهب، فبدأوا يضربونه إلا أنه أصر على الإنكار رغم علمه بمكان السيد، وجاءت زوجته أم جعفر وقالت لهم : إن السيد مريض، وقد انتقل إلى مستشفى النجف، فانتقل رجال الأمن إلى المستشفى وطوقوه، وطالبوا المشرفين على المستشفى بتسليم السيد إليهم فقالوا لهم : إن السيد مريض وحالته خطرة، ونحن لا نتحمل مسؤولية نقله إذا مات بأيديكم.

فوقع الاتفاق على نقله إلى مستشفى الكوفة، ومعه السيد عبد الغني بعنوان مرافق له، وهكذا تم نقل سماحته ووضعوه في ردهة المعتقلين، وفي الصباح ذهب السيد محمَّد الغروي إلى المستشفى لغرض الاطمئنان عليه، فالتقى

بالمرحوم السيد عبد الغني، فعلم بأنَّ الأمن قد وضعوا قيد الحديد على يده الكريمة، فأخبرني السَّيد بذلك، فذهبت أنا إلى بيت السيد الخميني رحمه الله حيث كان بيته في النجف، وحكيت له القصة.

ثم كثرت في صبيحة ذلك اليوم الناس وفي طليعتهم طلبة العلوم الإسلامية، والجلاوزة تمنعهم من الدخول إلى المستشفى، ودخل البعض عنوة، وكاد إن يستفحل الاضطراب في وضع الناس، فخشيت الحكومة من نتائج الأمر فرفعت القيد من يد السيد، وبعد فترة وجيزة أطلق سراح السيد الأستاذ[1].

٢- الاعتقال الثاني

في العشرين من شهر صفر سنة ١٣٩٧هـ قامت السلطات الإجرامية بمنع الزائرين إلى للإمام الحسين عليه السلام سيراً على الأقدام لمنع تأدية تلك الشعائر، وحدثت انتفاضة كبيرة، وعارمة، وكان السيد الشهيد يتابع تلك الأحداث عن كثب ويقول: إن هذه المواكب شوكة في عيون حكام الجور فهي التي زرعت بقلوب الأجيال حب الحسين عليه السلام وحب الإسلام، فلا بد من بذل كل الجهود للإبقاء عليها رغم حاجة البعض منها إلى التهذيب ويقول الشيخ النعماني : قد أمرني بتقديم الأموال إلى كافة المواكب التي تكون بحاجة إلى مساعدة ودعم. بل وبعث بالكثير من الأموال إلى المواكب الأخرى التي لم تعتد طلب المساعدات والتبرعات، ثم يتم ....كلامه حيث يقول: وفي أثناء تلك الظروف جاء محافظ النجف، المدعو جاسم الركابي، وطلب منه التدخل

١ - الحائري، المصدر السابق ، ص١٤٨-١٤٩ . الحائري، كاظم، مباحث الاصول، ص١٠٥.

بإرسال وفد يطلب من الثوار ان لا يرددوا شعارات معادية للسلطة، وتتراجع السلطة عن قرار منع المسيرة الحسينية فقط، وأنها لم تعرض أحداً منهم إلى الاعتقال فيما بعد، فقال له السيد: ومن يضمن سلامة الوفد الذي أبعثه إليهم.

فقال: الركابي أنا اضمن سلامته، ولو حدث لهم غير ذلك فسوف أقدم استقالتي واحلق شاربي، إن هذا تعهد مني ومن وزير الداخلية لم يكن السيد يثق بوعودهم أبداً إلا أنه لاحظ أن المسيرة حققت أهدافها، وأنها سوف تتخذ أقصى الإجراءات ضد الثوار ريثما تنتهي الأربعين، فكان سعي السيد نحو تضييق دائرة الانتقام إلى أقل عدد ممكن من الضحايا، وبالإضافة إلى ذلك كان السيد الشهيد محرجاً من امتناعه إرسال وفد بعد استجابة السيد الخوئي رحمه الله ، وسوف يفسر موقف سماحته في حالة عدم استجابته بأنه موقف معادي للسلطة ومؤيد للثوار، وكان المفروض أن يقدر هذا الموقف، وأن يشكر من قبل رجال السلطة، ولكن على العكس توجهت السلطة إلى الشهيد الصدر، لتنتقم منه باعتباره الرمز الحقيقي للنجف، بما تحمل من تراث ديني علمي عريق، ومن المؤكد بأنها لم تمتلك ما يثبت تورط السيد الشهيد في الأحداث، ومع ذلك أصرت على اعتقاله وجلبه إلى بغداد وفي التاسعة صباحاًجاء مدير أمن النجف، فطلب من السيد مرافقته إلى بغداد مدعياً أن وزير الداخلية عزت إبراهيم الدوري يريد الاجتماع به، وهذه هي حججهم المعهودة في كل اعتقال وذهب سماحته معهم إلى بغداد لا للتحقيق، بل ليبلغ رسالة حقد قاسية وشديدة من وزير الداخلية، ثم يقاد إلى مديرية الأمن لينال من الحاقدين أنواع التعذيب.

وقد قال لي فيما بعد :(كنت أحرص على كتمان ما قد نلته من التعذيب لئلا يؤدي ذلك إلى انهيار أو خوف من لا يملك القدرة على الصبر، والصمود، وكان السَّيد الشَّهيد بعد أن أفرج عنه يتوقع اعتقاله ساعة بعد ساعة، وكان مترقباً ومستعداً كذلك ليلاً ونهاراً، وسألته عما جرى عليه في مديرية الأمن العامة فقال لي: لم يسألني أحد إلا مدير الأمن العام قال لي: نعلم انك وراء الأعمال العدوانية وقد بعثت السَّيد محمَّد باقر الحكيم ليحرِض علينا إننا سوف ننتقم منك في الوقت المناسب وهددني بالإعدام)[1].

٣- الاعتقال الثالث

وكما هي عادات المجرمين والظالمين، فقد جاءوا إلى بيت سماحته وقت الغروب من يوم الإثنين المصادف ١٦رجب ١٣٩٩هـ فبدؤها -أي الحملة- بتطويق البيت، وكذلك الشوارع، والأزقة.

وكانت السلطة تتبع هذا الأسلوب، وذلك لخشيتها من معرفة أبناء الشعب العراقي بالاعتقال، وبالتالي قد يأتي البعض منهم إلى بيت سماحة السيد فيمنعون السلطات من اعتقاله.

وجاء الليل بسكونه وهدوئه يخيم على النجف على هذا الزقاق، حيث مستقر سيدنا الشهيد؛ إذ تحث الخطى، وتتعالى حركة الحشود، وكنت أرقب ذلك الوضع من خلال فتحة أحدثها كسر صغير في زجاجة النافذة المطلة على الزقاق، فأيقنت أن السلطة تستعد لاعتقال الشهيد الصدر فذهبت إليه

---

١ - النعماني، محمَّد رضا، المصدر السابق، ص٢١٢ .بتصرف.

وأخبرته بذلك الاستعداد، وتلك الحشود المجرمة، فقال لي:(لا بأس، أنا ذاهب إلى النوم، لأني أشعر بالتعب الشديد)[1]. ثمَّ سلم الخاتم الذي يعبر عن إمضائه والذي يختم به فتاواه ورسائله إلى من يثق به من المقربين منه خشية أن يسلب منه بعد اعتقاله واستشهاده، فيستغل في تزوير ما تحتاج إليه السلطة من الفتاوى مثلاً.

وكان سماحته قرر أن يواجه مدير النجف إن جاء لاعتقاله، ويعلن له بصراحة عن موقفه من السلطة وسياستها وممارستها الوحشية ضد الإسلام والمسلمين، وكنت قد قلت له ما فائدة هذه المواجهة في الوقت الذي نستطيع ان نستوعب هذه الأزمة ونمررها بهدوء؟

فقال رحمه الله:(أريد أن أجبر السلطة على قتلي عسى أن يحرك ذلك الجماهير للإطاحة بالنظام وإقامة حكم القرآن في العراق)[2]، وفي الصباح الباكر والناس نيام، لم نشعر إلا والباب قد فتح، وإذا بالمجرم أبو سعد مدير امن النجف يطلب مقابلة السيد الشهيد، ولم تكن هذه الزيارة غير متوقعة، أو مباغتة، فقد كانت كل الدلائل تشير إلى أن السَّيد الشَّهيد سوف يعتقل في هذا اليوم وعلى كل حال اجتمع هذا المجرم بالسيد الشهيد فقال: سيدنا : إن القيادة ترغب بالاجتماع بكم.

السيد الشهيد : أنا لا أرغب بالاجتماع بهم.

مدير الأمن : لابد من ذلك.

---

١ -، النعماني، محمَّد رضا ،المصدر السابق ،ص٢١٤.

٢ - المصدر نفسه، ص١١٤.

السيد الشهيد : أنا لا اذهب معك، إلا إذا كنت تحمل أمراً باعتقالي.

مدير الأمن : نعم، أحمل أمراً باعتقالك.

هنا أجابه سماحة السيد بعدة كلمات، تحمل تأنيباً كبيراً لهؤلاء الطغاة، وتكلم عن المظالم التي تلحق بالشعب من قبلهم، ووصفهم بأنهم نظام طاغوتي إجرامي ثم بعد ذلك خاطب مدير الأمن، فقال :(هيا لنذهب إلى حيث تريد)[1].

ويضيف الشيخ النعماني قائلاً: كنت مع الأخوة؛ الشيخ طالب السنجري، والسيد محمود الخطيب، وكنا برفقة السيد الشهيد حتّى السيارة، وتفاجأنا بالعلوية بنت الهدى وقد وقفت بالقرب من السيارة التي كانت معدة لنقل السيد إلى بغداد، وفجأة ألقى الشيخ السنجري بنفسه بالسيارة، ورافقه كذلك الأخ السيد محمود الخطيب، واستمرت قوات الشرطة بمحاصرتها لمنزله.

فكان من الطبيعي أن ينتشر خبر اعتقاله، ولو على شكل إشاعة في بادئ الأمر، فكان أول من تجرأ على دخول البيت رغم تطويقه هو سماحة الأخ السيد علي أكبر الحائري وسألني عما جرى وهل حقاً تم اعتقال السيد الشهيد؟ فقلت نعم ثم خرج من المنزل متحدياً الأمن بعد أن طلبوا منه البقاء بهدف اعتقاله – وأما السيدة الشهيدة – بقيت تفكر في ما يجب أن تفعل في تلك الساعات العصيبة، ولقد رأيتها في ساحة البيت تتكلم مع نفسها، وتنتظر شروق الشمس وتواجد الزوار في حرم الإمام عليه السلام، وحين أيقنت أن الوقت قد حان، والفرصة قد أتت خرجت إلى الحرم الشريف وعند ضريح سيد

---

١ – الحائري ، كاظم ،الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف ، ص١٧٧.

المظلومين علي عليه السلام نادت بأعلى صوتها "الظليمة الظليمة يا جداه يا أمير المؤمنين لقد اعتقلوا ولدك الصدر ثم خاطبت من كان في الحرم الشريف فقالت: أيها الشرفاء المؤمنون هل تسكتون وإمامكم يسجن ويعذب؟ ماذا ستقولون غداً لجدي أمير المؤمنين إن سألكم عن سكوتكم وتخاذلكم؟ أخرجوا وتظاهروا واحتجوا فجاءها أحد خدام الحضرة الشَّريفة ممن يعمل للسلطة، وحاول منعها فنهرته، وصرخت بوجهه ثم قام إليه بعض من كان في الحرم فانهالوا عليه بالضرب فولى هارباً.

وأما السيد علي أكبر الحائري فيقول:عندما اعتقل السيد الشهيد سرعان ما اشتهر هذا النبأ بين أوساط المؤمنين، وكان بادئ الأمر على شكل شائعة غير مؤكدة، وبعد التأكد من الخبر، وقع رد فعل جماهيري كبير تجاه هذه الجريمة النكراء ولكن الكل يقول ماذا نصنع؟ كيف نتحرك؟ ما هي الوظيفة والأسلوب؟ فذهبت مع أحد الأخوة من طلاب السَّيد الشَّهيد إلى بيت شخص آخر من زملائنا الأعزاء، فعقدنا هناك اجتماعاً ثلاثياً للتخطيط حول ما يجري صنعه في هذه الساعات الحرجة، فكانت نتيجة هذا الاجتماع هو التصميم القاطع بتنظيم مظاهرة جماهيرية للاحتجاج على هذه الجريمة النكراء مع وضع الخطة الكاملة من حيث مكان التجمع وساعة الانطلاق، وقد عينا الحرم الشريف مكاناً للتجمع وصممنا على الانطلاق من هناك على رأس الساعة العاشرة بعد قراءة دعاء الفرج....ولما قرب الموعد ذهبت إلى الحرم الشريف، وانتظرت هناك إلى أن حان الوقت واجتمع عدد من المؤمنين فشرعت بقراءة دعاء الفرج وكان الجميع يرددون معي جملة جملة إلى أن بلغنا اسم الإمام

الحجة وقمنا جميعاً أجلالا له ثم بدأت الشعارات: الله أكبر، الله أكبر، عاش عاش عاش الصدر، وانطلقت المظاهرة بركضة سريعة وكان للمرأة دور ملحوظ في هذه الانتفاضة، ولما انطلقت التظاهرة التحق بنا جمع غفير من المؤمنين من خارج الحرم الشريف وسرعان ما اتسع العدد أيضاً عندما دخلت المظاهرة شارع الإمام الصادق عليه السلام ..... ولقد وقع الاشتباك بين المتظاهرين وجهاز الأمن الإرهابي رغم تجرد المتظاهرين من السلاح ...وقد بدأت عملية إلقاء القبض على الناس بصورة عشوائية في أكثر شوارع النجف الأشرف)[1].

وكان لهذه التظاهرة دورٌ كبيرٌ في إخراج سماحة السيد من السجن؛ فحينما -أفرج عنه- قال للشيخ النعماني : " شعرت أن شيئاً ما حدث غير مجرى التحقيق معي وإن كنت لا أعرف حدوده إلى أن قال لي فاضل البراك: ماذا فعلنا حتّى تخرج تظاهرات في النجف، والكاظمية احتجاجاً على ما يسمونه اعتقالاً لكم إن هذه زيارة وليست اعتقالاً، ثم قال : إن أحببت العودة إلى النجف فأنت حر وأهلاً بك.

ولكن السيد الشهيد رفض بداية الإفراج عنه والعودة دون إطلاق سراح جميع المعتقلين، فوافقت السلطات على إطلاق الشيخ السنجري، والسيد الخطيب دون بقية الجموع.[2]

---

١ - الحائري، كاظم، هامش كتاب، دروس في علم الأصول، ج١من القسم الثاني ، ص١٣٠-١٣١. الراضي، حسن علي، دراسة تحليلية على ضوء كتاب اقتصادنا للسَّيد الشَّهيد محمَّد باقر الصَّدر، ص١٥.

٢ - النعماني، محمَّد رضا، المصدر السابق، ص٢٢٥.

٤- الاعتقال الرابع والأخير.

بعد أن فشلت السلطة في محاولاتها السابقة عن طريق الاعتقال لسماحته أو التخطيط لاغتياله، قررت تصفيته بهذا الاعتقال الأخير، وكان هذا الاعتقال على خلفية عدة شروط طرحت على سماحته من قبل السلطة ويجب عليه القبول بها، وكان من أهمها:

١- عدم تأييد الثورة الإسلامية في إيران.

٢- الاعتذار مما صدر منه من مواقف بهذا الخصوص من خلال بيان يصدر منه.

٢- أن يصدر فتوى خطية يعلن فيها حرمة الانتماء لحزب الدعوة ..

٤- إصدار بيان يؤيد فيه السلطة ولو في بعض منجزاتها كتأميم النفط، أو منح الأكراد الحكم الذاتي، أو محو الأمية، إلا أنَّ السيد الشهيد رفض ذلك كله.

وفي اليوم الخامس من شهر نيسان الأسود عام ١٩٨٠م، وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر جاء مدير أمن النجف، ومعه مساعده الخبيث أبو شيماء فالتقى بالسيد رحمه الله وقال له : إن المسؤولين في بغداد يودون لقاءك في بغداد.

فقال السيد الشهيد إذا أمروك باعتقالي فنعم أذهب معك إلى حيث تشاء: فقال مدير الأمن: نعم هو الاعتقال.

فقال السيد الشهيد : انتظرني دقائق حتّى أودع أهلي.

مدير الأمن : لا حاجة لذلك ففي نفس هذا اليوم أو غداً ستعود.

السيد الشهيد : وهل يضركم أن أودع أطفالي وأهلي؟

مدير الأمن: لا ولكن لا حاجة لذلك ومع ذلك فافعل ما تشاء.

فقام وودع أهله وأطفاله، وهذه هي المرة الوحيدة التي أراه يودعهم من بين الاعتقالات التي تعرض لها، ثم عاد والابتسامة تعلو وجهه فقال لمدير أمن النجف : هيا بنا نذهب إلى بغداد.

وذهب السيد الشهيد إلى بغداد لينال الشهادة ويفي لشعبه بوعده حين خاطبه قائلاً :

(وأنا أعلن يا أبنائي كلمتين إني صممت على الشهادة ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني، وإن أبواب الجنة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتّى يكتب الله لكم النصر، وما ألذ الشهادة التي قال عنها رسول الله ﷺ :(إنها حسنة لا تضر معها سيئة- والشَّهيد بشهادته يغسل كل ذنوبه مهما بلغت ..) [1].

اليوم المشؤوم:

كانت أولى بوادر الشؤم أن السلطة قامت بسحب كافة قواتها من الزقاق، وذهبت الشهيدة بنت الهدى تستطلع الأمر، فلم تجد أحداً منهم، فعلمنا أن هذا الاعتقال نذير شؤم. وذهبت الشهيدة إلى غرفتها فأبدلت ملابسها بأخرى، وربطت كمي ثوبها على معصميها.

وجاء الليل وأي ليلة كانت؟ فلقد خيم فيها الحزن على تلك القلوب الطاهرة، لينفجر صباحها عن تطويق جديد لمنزل السيد الشهيد، فقالت السيدة

---

١ - النعماني، محمَّد رضا، المصدر السابق، ص٢٢٤.

العلوية: إن هؤلاء جاءوا لاعتقالي، لقد استعدت وتهيأت، وكأنَّها زينب أخت الحسين عليه السلام في صبرها ورباطة جأشها وشجاعتها.

وفي اليوم السادس من نيسان الأسود جاء المجرم الخبيث مساعد أمن النجف المعروف بأبي شيماء، ولم تسمح له السيدة الشهيدة بالدخول إلى الدار، فقال لها علوية السيد طلب حضورك إلى بغداد.

فقالت: سمعاً وطاعة لأخي إن كان قد طلبني، ولا تظن أني خائفة من الإعدام والله أنا سعيدة بذلك إن هذا طريق آبائي وأجدادي.

فقال: لا علوية (بشرفي) إن السيد طلب حضورك.

أجابته الشهيدة مستهزئة: صدقت بدليل أن قواتكم طوقت بيتنا، ثم قالت له: دعني قليلاً، وسوف أعود إليك ولا تخف فأنا لن أهرب، وأغلقت الباب بوجهه، ثم جاءتني وقالت لي: أخي أبا علي، لقد أدى أخي ما عليه وأنا ذاهبة لكي أؤدي ما عليّ.

إن عاقبتنا على خير ، أوصيك بأمي وأولاد أخي. لم يبقَ لهم احد غيرك، إن جزاءك على أمي فاطمة الزهراء والسلام عليك .

قلت لها لا تذهبي معهم .

فقالت: لا والله حتّى أشارك أخي في كل شيء حتّى الشهادة.

وشهد الله لقد صعقت، وأنا استمع إليها، وتحيرت ماذا سأقول لهذا الجبل الشامخ من الإيمان والفداء والشجاعة؟ وهي تهزأ بالموت والتعذيب من أجل الله تعالى[1] .

---

١ – النعماني، محمَّد، رضا، المصدر السابق، ص٣٢٦. الحائري، كاظم، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

خبر الاستشهاد :

كان استشهاد سماحته حادثاً أليماً ومروعاً، والذي وقع في اليوم التاسع من شهر نيسان ١٩٨٠م، وكان بعد اعتقاله بيومين، حيث قطعت الكهرباء في مدينة النجف، وجاءت مجموعة من رجال الأمن إلى بيت سماحة الحجة السيد محمَّد صادق الصدر رحمه الله وطلبوا منه الحضور إلى مديرية أمن النجف والتقى بمديرها الذي أخبره بهذه الفاجعة وطلب منه الإعلان عن إعدام السيد الشهيد دون أخته، وإن أخبر عنها سيعرض نفسه للإعدام، ثم أخذهما السيد محمَّد الصدر وصلى عليهما قبل أن يدفنهما سراً، ولما حانت وفاة المرحوم السيد محمَّد صادق الصدر، أخبر عن شهادة بنت الهدى[١].

مكان الدفن

لقد دفن السيد الشهيد في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف، وإلى جانبه أخته الطاهرة بنت الهدى[٢] وفي أثناء الانتفاضة الشعبانية والتي حدثت (١-٣-١٩٩١م) تم نقل جثمانه الطاهر إلى مكان آخر، و بعد ذلك نقل إلى المكان المدفون به الآن.

لقد أثكل المسلمين خبر الاستشهاد، وخرجت العديد من المظاهرات، وأقيمت مجالس العزاء، وأبَنه العلماء والشعراء، كان في طليعتهم الدكتور العطار، والذي رثاه في قصيدة عصماء كان مطلعها :

---

١ - الحائري، كاظم، المصدر السابق، ص٢٢٩.

٢ - النعماني، محمَّد رضا ، المصدر السابق، ص ٣٢٤-٣٢٧.

باقر الصدر منا سلاماً أي باغ سقاك الحماما

أنت أيقظتنا كيف تغفو أنت أقسمت أن لن تناما .

فرحمك الله أبا جعفر، وسلام عليك، يوم ولدت، ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

الفصل الثاني

أصول التفسير الموضوعي

المبحث الأول: التعريف بالأسلوب، المنهج، المناهج التفسيرية.

المبحث الثاني : تاريخ التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: أسس وقواعد التفسير الموضوعي

المبحث الأول

التعريف بالأسلوب، والمنهج، والمناهج التفسيرية.

قبل التكلم عن المنهج، المناهج التفسيرية بشكل خاص، والتطرق إلى تقسيماتها لابد من التعرف على مفردتي الأسلوب والمنهج ولما لهما من صلة وثيقة في مطلب بحثنا، **نتيجة للخلط عند البعض بين مفردتي (الأسلوب والمنهج) عند البعض رأينا من الضروري أن نذكر تعريف هذه المفردة كي يميز المتتبع اللبيب بينهما.**

وتختلف أساليب الكتابة عند المفسرين وتتفاوت على أساس الذوق ومراعاة حال المخاطب، فقد يكون التفسير ترتيبياً أو يكون موضوعياً[1].

الأسلوب لغة واصطلاحاً

الْأُسْلُوبُ لغة: بِضَمِّ الْهَمْزَةِ الطَّرِيقُ وَالْفَنُّ وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَوْمِ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِمْ[2].

وأما إصطلاحاً: فلا يختلف المعنى عن المراد به لغة الذي يراد به : طريقة الكتاب الخاصة في الكتابة[1].

---

[1] - رضائي، محمد علي، مناهج التفسير واتجاهاته ، ص٢٨.

[2] – الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص٢٨١.

يختار المفسر أحد المواضيع ويجمع كل مايتعلق في جميع الآيات والسور، ثمَّ يخرج بنتيجة معينة[٢].

وسنقف عند هذه المفردة (المنهج) لغة واصطلاحاً باعتبارها الأساس التي يمكن الدخول من خلالها إلى المناهج التفسيرية، والخوض فيها.

ثانياً: المنهج (لغة – اصطلاحاً):

١- المنهج لغة: المنهج لغة الطريق الواضح، ويقال أيضاً: النهج، والمنهاج، وكلها بمعنى واحد، ويقال : نهجت الطريق أي سلكته، وفلان ينتهج سبيل فلان أي يسلك ما سلك، ونهج الأمر وأنهج لغتان إذا وضح[٣].

٢- المنهج اصطلاحاً: وقد ذكر له أكثر من تعريف، نستعرض أهمها :

أ- هو: (طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم، أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية)[٤].

ب-هو:(أي إجراء يطبق على أشياء مختلفة ومتنوعة فيحولها من حالتها غير المنتظمة إلى نظام بينها على أساس علاقات ارتباطها ببعض)[٥].

---

[١] - بن ذريل، عدنان، اللغة والأسلوب دراسة، ص١٥١.

٢ - رضائي، محمد علي،المصدر السابق، ص٢٨.

٣- ابن منظور، محمَّد بن مكرم، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨٣.

٤ - النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص٦.

٥ - خليل، ياسين منطق البحث العلمي، ص١٦.

وعليه يكون المنهج التفسيري : هو الطريقة التي يسلكها مفسر كتاب الله تعالى، وفق خطوات منظمة يسير عليها لأجل الوصول إلى تفسير الكتَّاب العزيز طبقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها، وإبرازها من خلال تفسيره[1].

مناهج المفسرين :

وهي عبارة عن مركَّب إضافي من كملتين، وهما : (المناهج) والتي مفردها منهج وقد تقدم بيانها، والأخرى كلمة (المفسّرون) وهي جمع كلمة مفسّر.

إلا إنَّ المقصود منها بشكل تركيبي :

الطرائق والخصائص التي يتمَّيز به التفسير الخاص بالقرآن الكريم[2].

وهناك العديد من المناهج التفسيرية، التي انبثقت عن مجموعة من المدارس التفسيرية، والتي نمت وتطورت عبر العصور والأزمان، نذكر منها :

١- المنهج الأثري.

٢- منهج التفسير بالرأي.

٣- المنهج اللغوي.

٤-المنهج البياني.

٥- المنهج الصّوفيّ أو الباطني.

٦- المنهج العلمي.

---

١ - أبو طبرى، هدى، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، ص٢٣.

٢ - أبو طبرى، هدى جاسم، المصدر السابق، ص٢٣.

٧-المنهج الفقهي.

٨-المنهج الاجتماعي

١- المنهج الأثري:

إن الأثر في اللغة معروفاً وواضحاً ويعني : بقية الشئ، إلا إن الاختلاف بدا جلياً وواضحاً في المعنى الاصطلاحيّ له، سواء عند الفقهاء أم عند علماء الحديث، ولا نريد الخوض في ذلك بشكل مفصّل، لأنه ليس مورد بحثنا، ولكن يمكن القول : بأن أقرب تعريف إلى الواقع المراد هو ما نقله الدكتور الصغير حيث قال: (هو الأثر الصحيح الوارد عن النَّبيّ عليه السلام وأهل بيته، أو الصحابة والتابعين)[١]، وهذا يكفينا للدلالة على ما نريد.

خصائص هذا المنهج :

ويختلف هذا المنهج عن غيره في آلية تفسير القرآن الكريم بما يلي :

١- إن مدركه هو السنة الشريفة، والرواية الثابتة الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أو المرفوعة إلى النبي عليه السلام عن الصحابة الأطياب، أو من في حكمهم من أوائل التابعين.

٢- التفسير في هذه المرحلة كان يُروى كما تُروى الأحاديث النبوية الشريفة، حيث لم ينفصل عن الأحاديث في ذلك العهد[٢].

---

١ - الصغير، محمَّد حسين، دراسات قرآنية، ص٨٣.

٢ - الذهبي، محمَّد حسين، التَّفسير والمفسرون، ج١، ص٩٧.

٣- استخدم المسلمون في بداية دعوتهم هذا النوع من التفسير مقتصرين على بعض الآيات التي يصعب فهمها، وخاصّة آيات الأحكام، نظراً لحاجتهم إليها في المجال التطبيقي لأحكام الشريعة السمحاء[١].

٤- اختصار الألفاظ في المعنى اللغوي، وإذا أرادوا الزيادة فإنَّما يكون ذلك في أسباب النزول[٢].

٥- مما يلاحظ على هذا المنهج ضعف الأسانيد وإرسالها، أو حذفها رأساً، وكثرة الوضع والدس والتزوير، ووفرة الإسرائيليات، وخاصّة في عصر التابعين[٣].

٦- زيادة الخلاف بين التابعين في فهم معاني القرآن الكريم، عمَّا كان عليه التفسير في عهد الصحابة، وانسحب أثر هذا الخلاف على تفسيرهم مما أوجد كثيراً من الروايات المختلفة في تفسير الآية الواحدة[٤].

٧- كشفه عن مراد الله بدلالته، وثاقة التفسير بالمأثور باعتماده على النصوص القديمة استخلاص الحياة العقليَّة والفكريَّة من خلال المنهج[٥].

---

١ - أبو طبرة، هدى جاسم، المصدر السابق، ص٤٤.

٢ - الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج١، ص٩٧.

٣ - معرفة، محمَّد هادي، التَّفسير والمفسرون، ج١، ص٣١. الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ص ١٣٠.

٢ - الذهبي، محمَّد حسين، المصدرالسابق، ج١، ص١٣١ .

٣- أبو طبره، هدى، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٤.

أشهر كتب التفسير بالمأثور :

أ- تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي،(ت:٣٢٩هـ).

وهو التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (توفي سنة ٣٢٩)، وقال النّجاشي عنه: (ثقة في الحديث ثبت معتمد صَّحيح المذهب(١، وقال العلامَّة الحلي في خلاصَّة الأقوال: (علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن، ثقة في الحديث، ثبت معتمد صَّحيح المذهب)٢.

وأمَّا تفسيره، فهو من صنع أحد تلاميذه المجهولين وهو: أبو الفضل العباس بن محمَّد العلوي أخذ شيئاً من التفسير بإملاء شيخه علي بن إبراهيم، و مزجه بتفسير أبي الجارود٣، و أضاف إليه شيئاً ممَّا رواه عن غير طريق شيخه بسائر الطرق، فهو تفسير مزيج ثلاثي الأسانيد و لم يعرف إلى الآن، من هذا العبّاس العلويّ؟ واضع هذا التفسير.

كما أنَّ الراوي عن أبي الفضل هذا مجهول أيضاً، فلم يصَّحح الطريق إلى هذا التفسير، كما لم يعتمده أرباب الجوامع الحديثية، فلم يرووا عن الكتَّاب،

٤- ابن داود، رجال ابن داود، ج١، ص١٣٠ .

٥- الحلي، خلاصة الأقوال،ج١، ص١٧٤.

٣- وهو زياد بن المنذر السرحوب المتوفى سنة (١٥٠) أبى الجارود زياد بن المنذر السرحوب الأعمى، المذموم الذم المفرط، وكان من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر A وهو رأس الجارودية من الزيدية .انظر رجال الخاقاني ، ج١ ، ص١٥٨، غفاري ، علي اكبر ، دراسات في علم الدراية ،ج١، ص١٦٠. معرفة، محمَّد هادي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٥.

و إنَّما كانت رواياتهم عن علي بن إبراهيم بإسنادهم إليه لا إلى كتابه فهو تفسير مجهول الانتساب.

منهجه في التفسير:

١- ابتدأ التفسير بمقدمة بين فيها أنماط الآيات الكريمة من محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام،...وما إلى ذلك من أنواع الآيات .

٢- بدأ بالتفسير مرتباً حسب ترتيب السَّور والآيات آية آية[١].

٣- كان يعتمد على المأثور من آل البيت عليهم السلام،إلا انَّه ينقل بعض الأخبار المشتملة على الوهن والضَّعف أو اضطراب في المتن.

ب- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت:٩١١هـ).

التعريف بالمؤلف: هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، والسيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صَّعيد مصر، وهو عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، وُلد في القاهرة ونشأ فيها، رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقرَّ بها تولّى مناصب عديدة، ولمَّا بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف توفي بالقاهرة سنة :٩١١م[٢].

---

١ - القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج١، ص٢.

٢ - السسوطي، جلال الدين، مقدمة الدر المنثور،ج١، ص٣.

منهجه في التفسير :

١- غياب عنصر التحليل بعد سرده لطائفة من الأخبار، فهو يذكر الروايات فقط.

٢- لقد استقصى كثيراً في ذكره للشواهد التي تخص كل آية، وكان من الممكن ان يقتصر على الأقل من ذلك ويبين موطن الشاهد فقط، والذي يفي بالغرض.

٣- جمعه بين الغث والسمين من قبيل الإسرائيليات، وغيرها.

وهناك عدد من المفسرين الذين كتبوا وفق هذا المنهج، يمكن ذكر البعض منهم :

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمَّد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).

٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المعروف ب(تفسير الثعالبي): هو أبو إسحاق، احمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري (ت:٤٢٧) .

٣- تفسير الصافي: محسن محمَّد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ).

٤- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني (ت:١١٠٧هـ).

٥- بحر العرفان: المعروف بـ (تفسير البر غاني): وهو للمولّى صالح بن آغا محمَّد البرغاني القزويني الحائري (ت: ١٢٧٠هـ)، وإنَّما اكتفينا ببعض النماذج المتقدمة خشية الإطالة والإطناب فيها.

٢- منهج التفسير بالرأي :

ويعتبر هذا المنهج من المناهج المهَّمة، والتي كثر حولها النقاش بين أصحاب هذا الفن، وما هو موقف لعلماء منه؟ وما هو منشأ الخطأ في التفسير بالرأي؟ وهل هو المنهي عنه في الآيات والأحاديث النبوية أم لا؟ وهل يتعارض مع التفسير بالمأثور أم لا ؟ ثم هل المقصود به التفسير الاجتهادي (العقلي) أم غير ذلك؟

إلا أننا لا نستطيع الإجابة على كل هذه الأسئلة، والاستقصاء بها خشية ان يطول المقام بنا، وسنقتصر في الإجابة على بعضها والَّذي له المساس ببحثنا.

معنى التفسير الرأي؟

المراد به هو التفسير بالرأي وهو: الاستحسان والترجيح الظني، أو الميل النفسي لإتباع الهوى[١].

وهذا التفسير منهي عنه، نتيجة الروايات التي تظافرت على ذلك، ويمكن أن نذكر منها: حديث النبي ﷺ أنّه قال: «من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق، فقد أخطأ»[٢]، وهناك رواية أخرى تنقلها عائشة عن النبي ﷺ أيضاً قالت: «لم يكن النَّبي ﷺ يفسر القرآن إلا بعد أن أتى به جبرئيل»[٣].

ويقول الزركشي: (ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

---

١ - الصغير، محمَّد حسين، دراسات قرآنية، ص٩٠.

٢ - الطوسي، محمَّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٤.

٣ - المصدر نفسه، ج١، ص٤.

كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1] وقوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] فأضاف البيان إليهم، وعليه حملوا قوله ﷺ « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النَّار»[4].

ومن خلال ما تقدم من الأخبار نجد بأن هذا النوع من التفسير منهي عنه .

ولكن هناك من أجاز التفسير بالرأي إذا توفرت فيه الشروط التي اشترطها، وأطلق عليه التفسير **بالرأي الجائز**.

ويقول الذهبي بأنَّ التفسير بالرأي على قسمين: قسم جار على موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شُّروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يُحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي.

وقسم غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعيّة، ولا مستوف لشـرائط التفسير، وهذا هو مورد النهي ومحط الذم، وهو الذي يرمي إليه كلام

---

١ – الإسراء: ٣٦.

٢ – البقرة:١٦٩.

٣ – النحل: ٤٤.

٤ – الزركشي، محمَّد بن عبد الله، البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٦١.

ابن مسعود إذ يقول: «ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع»[1].

فمن خلال القسم الثاني يستدل الذهبي على جواز هذا النوع والذي يشترط فيه الشروط المتقدمة، فيقول في تعريفه له على أنه: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالاتها ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالنَّاسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر[2]

.خصائص هذا المنهج:

١- قلّة الاعتماد على الروايات التفسيرية.

٢- كثرة الاعتماد على الاجتهاد الخاص في فهم معاني الآيات.

٣- تبين أنماط الآيات الكريمة من ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وعام وخاص ....الخ.

ومن نماذج التفسيروفق هذا المنهج:

أ- مفاتيح الغيب: لمحمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي الملقب بفخر الدين الرَّازي: ت٥٤٤ هـ).

التعريف بمؤلف هذا التفسير:

١- الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج١، ص١٧٤-١٧٥. عبيدو، حسن يونس حسن، دراسات ومباحث في تاريخ التَّفسير ومناهج المفسرين، ص١٠٦.

٢ - الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج١ ، ص١٦٩ .

مؤلف هذا التفسير، هو أبو عبد الله، محمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علىّ، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقَّب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنَّة.[1]

منهجه في التفسير:

١- يذكر اسم السورة ومحل نزولها وعدد آياتها، والأقوال التي فيها.

٢- يبدأ بذكر الآية والآيتين أو مجموعة من الآيات، ولكن قبل كل شئ يبدأ بشرح موجز يحقق به الربط بين ما هو بصدد بيانه وبين ما سبق، حتّى يصل إلى الوحدة الموضوعية بين الآيات.

٣- يمتاز التفسير بذكر المناسبات بين الآيات والسور بعضها مع بعض.

٤- يدخل في بيان المسائل وعددها بقوله مثلاً: إن في الآية مسائل، وقد تبلغ عشراً أو أكثر، وقد يبين هذه المسائل بعناوين مثل النحو والأُصول، وسبب النزول، واختلاف أوجه القراءات وغيرها[2].

ب- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النَّسفي: ت ٧٠١ هـ

مؤلف هذا التفسير، هو أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزُّهاد المتأخرين، والأئمَّة المعتبرين، كان إماماً كاملاً عديم

---

١ - إيازي، محمَّد علي، المصدر السابق، ص٦٥١.

١- الرازي، محمَّد، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١، ص١٥٩.

النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه، بصيراً بكتاب الله تعالى كانت وفاته -رحمه الله- سنة ٧٠١هـ[١].

منهجه في التفسير:

١- ذكر اسم السورة، ثمَّ مكيها مدنيها، ثمَّ يبدأ بتفسير الآيات جملة مع ذكر وجوه الإعراب، والقراءات والالتزام بالقراءات السبعة.

٢- الإشارة إلى الروائع البلاغية التي وردت في القرآن ضمن عبارات موجزة.

٣- يتعرض لشرح آيات الأحكام، ويبين أقوال الفقهاء وآراءهم، وينتصر لمذهبه الحنفي.

٤- موقفه بالنسبة إلى الإسرائيليات، فإنَّه مقل في ذكرها، وإن نقل عن كتب التفسير التي تقدمته بعضاً من الإسرائيليات دون أن يتعقبها، وقد ينبه على بعض منها إن تطلب ذلك[٢].

ويمكن ذكر البعض الآخر منهم على سبيل الإيجاز:

أ- تفسير الجلالين..... لمحمَّد بن أحمد الملقب بجلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، لعبد الرحمن الملقَّب بجلال الدَّين السيوطي(ت٩٠١هـ).

ب- البحر المحيط ..... لأبي حيان التوحيدي.

---

١ - إيازي، محمَّد علي، المصدر السابق، ص٦٣٥.

٢ - المصدرنفسه، ص ٦٣٧.

علماء الإمامية والتفسير بالرأي.

إن موقف علماء هذه المدرسة لايكاد يختلف عن مواقف بقية المسلمين في رفضهم لهذا النوع من التفسير ، بناءاً على الروايات التي جاءت عن طريق أهل البيت عليهم السلام، ويمكن ذكر بعضها :

١- ما ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[١].

٢- الإمام الصادق عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه».[٢]

٣ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»[٣].

وللخروج من هذا النزاع الذي دار بين المسلمين حول التفسير بالرأي أطلق البعض من علماء الإمامية على القسم الذي تتوفَّر فيه شروط الجواز، اسم التفسير الاجتهادي، بعد أن ذكر شروطاً لا تكاد تختلف عن تلك التي ذكرها الذهبي في القسم الثاني من أقسام التفسير بالرأي (الذي عبر عنه بالجائز)، قائلاً: من سلك طريقة العقلاء في فهم الكلام واعتمد الدلائل والشواهد

---

١ - ريشهري، ميزان الحكمة، ج٨، ص٢١٥.

٢ - المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص١١٠.

٣ - المصدر نفسه، ج٨٩، ص١١٠.

وراجع أقوال السلف الصالح و ثم أعمل نظره في فهم كلام الله لم يكن مفسراً بالرأي لا مستبداً برأيه ولا محملاً على القرآن الكريم، والعصمة بالله سبحانه[1].

ومن التفاسير التي كتبت وفق المنهج الاجتهادي المتقدم ذكره:

أ-التبيان في تفسير القرآن: للشيخ محمَّد بن الحسن بن علي الطُّوسي (ت:٤٦٠هـ).

شيخ الطائفة أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن علي الطوسي، المولود عام ٣٨٥هـ المتوفى ٤٦٠ هـ فقيه الشيعة وزعيمهم في القرن الخامس بعد السيد المرتضى الشهير بعلم الهدى تتلمذ على الشيخ المفيد،والسيد المرتضى، ولدﷺ في شهر رمضان سنة ٣٨٥ بعد وفاة شيخنا الصدوق بأربع سنين .

قدم العراق سنة ٤٠٨ بعد وفاة السيد الرضي بسنتين واستقر ببغداد، ثمَّ هاجر إلى النجف خوفاً من الفتنة التي تجدَّدت ببغداد، وبقى هناك إلى ان توفِّي ليلة الإثنين الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٦٠[2].

منهجه في التفسير:

١- يبدأ الشيخ بذكر المقدمات التمهيديَّة، وتعتبر مقدَّمات نافعة في معرفة أساليب القرآن.

٢- يبدأ بذكر الآية، ويتعرض للغريب منها، واختلاف القراءة فيها.

---

١ - معرفة، محمَّد هادي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠٣.

٢ - المصدر نفسه، ج١،ص٢٣٣.

٣- التعرض لمختلف أقوال وآراء المفسرين، ومن ثمَّ ينتهي إلى تفسير الآية، تفسيراً معنوياً في غاية الوجازة والإيفاء.

٤- ذكر البعض من المسائل الخلافية في الفقه والأحكام، وكذلك مسائل الاعتقاد، حيث لم يترك آية تحمل مطلباً عقدياً إلى وأشار إليه وفصله.

ب- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للسيد عبد الأعلى السبزواري.

ولد العلامَّة السبزواري في مدينة سبزوار، في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ من أسرة علمية مشهورة بالورع والاجتهاد، وقد هاجر من مدينته، وهو في الرابعة عشرة من عمره الشريف إلى مدينة مشهد الرضوية بعد تزويده بنمير من العلوم الفقهية والأصولية، ثمَّ هاجر بعد ذلك إلى مدينة النجف الأشرف وقد حضر الدروس على يد كبار علمائها، توفي رحمه الله صباح يوم الإثنين ٢٧صفر ١٤١٤ هـ وقيل قضي مسموماً على يد طغاة العصر في العراق، ودفن في مدينة النجف الأشرف[١].

منهجه في التفسير :

١- يذكر اسم السورة، ثم يبين مكيها ومدنيها، عدد آياتها، وتوضيح مفرداتها .

٢- لقد كان في بعض طيات تفسيره يهتم بالمنهج البياني، والطابع الأدبي (من صرف ونحو وبلاغة).

---

١ - أيازي، محمَّد علي، المصدرالسابق، ص٦٩١.

٣- تناول بعض البحوث المستقلة كالبحوث الفلسفية، والأخلاقية والاجتماعية والروائية والكلامية، كالذي تناولها السيد الطباطبائي في تفسيره.

٤- لم يتعرض إلى بيان النظم بين الآيات، وذلك لأنَّ الجامع القريب بين آياتها موجود، حيث يقول (لم أتعرض لبيان النظم بين الآيات وذلك لأنَّ الجامع القريب في جميعها موجود وهو تكميل النفس أو الهداية ومع وجوده لا وجه لذكر النظم بين الآيات لأن الغرض القريب بنفسه هو الجامع والرابط بين الآيات، كما إني لم اهتم بذكر شأن النّزول غالباً، لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصادقيها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد أخر، وكذلك جميع الروايات الواردة عن الأئمة الهداة في بيان بعض المصاديق لها، فهو ليس من باب التخصيص، بل من باب التطبيق الكلي على الفرد)[1].

كان منهجه واضحاً اتجاه الأخبار الإسرائيلية، فهو يتجاوز عن ذكرها إلا ما دعته الحاجة إليه لغرض مناقشتها، وإبطال الخرافات وتنزيه الأنبياء عليهم السلام منها.

ويمكن ذكر البعض الآخر منهم على سبيل الإيجاز:

أ- مجمع البيان في تفسير القرآن ..... لأبي علي الحسن بن الفضل الطبرسي.

ب- الميزان في تفسير القرآن .....العلامَّة محمَّد حسين الطباطبائي.

٣- المنهج اللغوي:

---

١ - السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن، ج١، ص٧.

وهو المنهج الذي عني بالجانب اللغوي، واشتقاق المفردات وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها، فجاء مزيجاً بين اللغة والنحو والصرف والقراءات، ويعتمد هذا المنهج استعمالات العرب وشواهد أبياتهم في الكشف والإبانة عن معاني الآيات القرآنية.

وقد سخرت بهذا اللغة العربية طاقاتها المتعددة في خدمة القرآن. فاستشهد بها على تقرير قاعدة، أو تقعيد نظرية، أو بناء أصل لغوي أو نحوي أو صرفي، فتبلورت في هذا السبيل عدة مسائل: في الفروع، والأصول والقواعد، وعاد النص القرآني ليقدم بإشعاعه حجة اثر حجة في سماء المعرفة اللغوية، وجلاء معاني الاستعمالات العربية[1].

ونستطيع القول بناءً على ما نقلته البعض من المصادر: بأنَّ أول من اعتمد هذا المنهج هو حبر الأمة ابن عباس (ت:٦٢هـ) في تفسيره لعدة آيات قرآنية، حينما سأله نافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر، عن تفسير عدداً من الآيات الكريمة، واشترطا أن يأتيهما بما يؤيد ذلك من كلام العرب، ففسر ذلك على شرطهما[2]، وقد امتدت هذه المدرسة بعد ابن عباس، فشملت جملة صالحة من خيرة العلماء والمحققين.

و من الذين سلكوا الطريق، وأصابوا فيه كثيراً، أبان بن تغلب تلميذ الإمام الصادق عليه السلام (ت:١٤١هـ) في(غريب القرآن، ومعاني القرآن، والقراءات)[3]،

١- الصغير، محمَّد حسين، المصدر السابق، ص٩٧.

٢ - السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٤٣.

٣ - الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص ٣٤.

ومن الذين بحثوا فيه أيضاً: يونس بن حبيب، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري وغيرهم.

إلا أنَّ أعمدة هذا المنهج هم ثلاثة :

أ- أبو زكريا الفراء (ت:٢٠٧ هـ) في كتابه معاني القرآن.

ب- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩ –٢١٠ هـ) في كتابه مجاز القرآن.

ت- أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ هـ) في كتابه معاني القرآن[١].

خصائص هذا المنهج:

لقد تميز هذا المنهج عن غيره من مناهج التفاسير الأخرى بعدة مميزات، يمكن إيجازها بما يلي :

١- البحث في تراكيب الجمل، والإعراب، والاشتقاق ووقف عند القراءات.

٢- عني بالإيقاع الموسيقي للألفاظ، والميزان الصرفي للمفردات.

٣- وملاحظة النسق الصوتي في الفواصل، وقد قارن بين وزن الشعر.

٤- تعرض لمباحث بلاغيَّة أملتها الضرورة عليه كالتشبيه والتمثيل، والمجاز، والاستعارة، وهو في كل ذلك لم يخرج عن منهجه اللغوي[٢].

٤- التفسير البياني:

---

١ - الصغير، محمَّد حسين، المصدر السابق، ص٩٩.

٢- نويهض، عادل، معجم المفسرين، ج٢، ص٧٣٠.

وهو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه، واستعارة، وكناية، وتمثيل، ووصل وفصل وما يتفرع على من ذلك من استعمال حقيقي، أو استخدام مجازي، أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية أو تحقيق في العلاقات اللفظية، والمعنوية أوكشف الدلالات الحالية والمقالية.

خصائص هذا المنهج:

١- الاهتمام بالجانب البلاغي في آيات القرآن.

٢- الاهتمام بالمحسنات البديعية، وجماليات القرآن الكريم.

٣- بيان أن كل لفظة في القرآن الكريم لا يصلح مكانها مرادفها.

وممن كتب على ضوءه:

أ- الجاحظ: نظم القرآن والبيان والتبيين.

ب- جار الله الزمخشري: وأسمي كتابه: (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وقد سار العديد على نهج الزمخشري في استجلاء الصورة البيانية للقرآن الكريم جمع من المعاصرين، نذكر منهم:

١- الأستاذ أمين الخولي في: محاضرات في الأمثال القرآنية ألقاها على طلبة الدراسات العليا في كلية الآداب جامعة القاهرة ـ مخطوط.

٢- الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - في :

أ- التفسير البياني للقرآن الكريم .

ب- الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

٥- المنهج الصوفي (الباطني):

ولا يراد به تفسير تلك الطبقة التي بلغت من النقاء والصفاء ما امتزجت به بالحب الإلهي المطلق، أو الجمال الروحي المحض، وإنما المراد به تلك الآراء الغريبة التي تفسر باطنيا بعيدا عن ظواهر الكتاب، ودلالة السنة، وسيرة المتشرعة، ففسروا القرآن بأهوائهم، معتمدين على فيوضات، والهامات تخيلوها، وهي مجانبة للرشد ومنحرفة عن الصراط المستقيم.

خصائص هذا المنهج :

١- الاهتمام بالسلوك الإنساني من جانب نفسي وروحي.

٢- اعتبار أن للقرآن ظاهراً للعامة وباطنا لأصحاب المقامات الإيمانية.

أعمدة هذا المنهج :

أ- عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٤٣٤).....لطائف الإشارات.

ب- أبو الفضل رشيد الدين أحمد بن أبي سعد الميبدي (ت:٥٢٠)....كشف الأسرار وعدة الأبرار.

ج- محي الدين بن عربي (ت:٦٣٨).... تفسير وأشارات القرآن.

نماذج من تفسير ابن العربي:

النموذج الأول : قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

---

١ - البقرة :١٨٨.

يقول: لاتأكلوا معارفكم ومعلوماتكم بباطل شهوات النفس ولذاتها، بتحصيل مآربها، واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها وترسلوا إلى حكام النفوس الإمارة بالسوء [1].

النموذج الآخر : قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [2].

يرى ان البيت هنا إشارة إلى القلب الحقيقي [3].

٦- المنهج العلمي :

وهو المنهج الذي يذهب إلى استخراج جملة من العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن ميداناً يتسع للعلم الفلسفي، والصناعي، والإنساني في الطب، والتشريع، والجراحة والفلك، والنجوم والهيئة، وخلايا الجسم، وأصول الصناعات، ومختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحيثيات.

رواده:

أ- محمَّد بن احمد الإسكندراني في: كشف الإسرار النورانية فيما يتعلق بالإجرام السماوية والأرضية والحيوانات النباتات والجواهر المعدنية.

---

١ -ابن عربي، محي الدين، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، ج١ ، ص١١٧.

٢- آل عمران : ٩٦.

٣ -الكفيشي، عامر، مناهج المفسرين، ص٧٥.

ب- هبة الدين الشهرستاني: تأليف بعض مسائل الهيأة والفلكيات حسب إشارات جاءت في الشريعة وفي نصوص القرآن الكريم.

ت-الجواهر في تفسير القرآن : طنطاوي بن جوهري المصري (ت ١٣٥٨).

الجواهر في تفسير القرآن نموذجاً :

هو الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري (ت: ١٣٥٨) .

ويعتبرتفسيره من أطول التفاسير، وأول من فسر القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث، ومن قبله محمَّد الإسكندراني ولكن بصورة غير شاملة وكذلك محمَّد عبد المنعم الجمال في صورة أو جزء.

منهجه في التفسير :

١- ذكر اسم السورة ومكيها ومدنيها وذكر مقاصد السورة على ضوء العلم الحديث.

٢- يفسر الآيات تفسيراً لفظياً مختصراً، ثم يلج في أبحاث علمية مستفيضة يسميها لطائف الجواهر.

٤- وضع الكثير من صور النباتات والحيوانات، والمناظر الطبيعية وتجارب العلوم بقصد ان يوضح للقارئ ما يقول.

٥- يُفسِّر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة، وعلوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، ويقول عن ذلك الذهبي: (ولست

أرى هذا المسلك في التَّفسير إلا ضرباً من التكلف، إن لم يذهب بغرض القرآن، فلا أقل من أن يُذهب بجلاله وجماله.)[1].

٧- المنهج الفلسفي:

وهو المنهج الذي يحاول ان يوفق بين الحكمة والعقيدة أوبين الدين والفلسفة، ويبين للناس ان الوحي لا يناقض العقل في شئ، وأن العقيدة إذا استضاءت بنور الحكمة تمكنت من النفوس.

رواده:

رواد هذا المنهج محمَّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي المعروف بصدر المتألهين في تفسيره المعروف بتفسير القرآن الكريم.

صدر المتألهين:

هو صدر الدين محمَّد بن إبراهيم الشيرازي القوامي المشهور على لسان الناس بـ(الملا صدرا)، وكان من عظماء الفلاسفة الإلهيين الحكيم الذي جمع بين مشرب المشاء والإشراق.

ولد بشيراز سنة ٩٧٩ هـ وعاش بها عنفوان شبابه ثمَّ سافر إلى أصفهان واستفاد من أستاذيه الشيخ البهائي والسيد الداماد، ثم ذهب إلى قم، وانعزل فيها للعبادة والرياضة، ثم رجع إلى شيراز وأسس فيها مدرسة في الفلسفة والحكمة الإلهية[2].

---

١ - الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج٢، ص٨.

٢ - إيازي، محمَّد علي، المصدر السابق، ٣١١.

منهجه في التفسير:

كان منهج صدر المتألهين في تفسيره يعتمد على منهج سائر مؤلفاته، منهجاً عرفانياً إشارياً معنوياً، ومرجعه في المباحث العقلية هي المراجع الكلية[1].

مميزات منهجه:

١- اهتمامه في التفسير الاشاري فنراه يستخرج من الآيات المباحث العرفانية والفلسفية، بعد ما يبين النصوص القرآنية بياناً ظاهرياً يخضع لقواعد الأدب، ويعترف بالمعنى الظاهر .

٢- كان مقلاً من ذكر الإسرائيليات.

٨- المنهج الفقهي :

يعني باستخلاص واستقصاء آيات الأحكام من القرآن الكريم، ويقرب من نحو خمسمائة آية لها تعلق مباشر بأعمال المكلفين مشتملة على (العبادات والمعاملات).

أهم كتب هذا المنهج :

١ - الشيرازي، محمَّد بن إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج١، ص١٢٢.

من المعروف ان السنة كانت تسير جنباً إلى جنب في تفسير النص القرآني الذي يخص الأحكام الفقهية، فما صدر عن الرسول ﷺ، وأهل البيت الأطهار عليهم السلام وبقية الصحابة الأخيار هي عبارة عن تفاسير فقهية.

وظل الأمر كما هو إلى عهد ظهور أئمة المذاهب، والفقهاء المستنبطين من الكتاب والسنة، فكان كل فقيه ينظر في القرآن ليحل مسائله ويجيب عنها، ويعتقد بأنَّ رأيه هو الصَّحيح، وكان نتيجة ذلك ان تحدث خلافات في الآراء والمباني في الأحكام، ومنها:

أ- (أحكام القرآن) :لأحمد بن علي أبو بكر الجصاص.

ب-(أحكام القرآن) :المنسوب إلى محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤).

ت-(فقه القرآن): لسعيد بن هبة الله الراوندي.

ث-(كنز العرفان في فقه القرآن): للمقداد بن عبد الله السيوري الحلي.

ج- (زبدة البيان في أحكام القرآن) : لأحمد بن محمد الأردبيلي .

٩- المنهج الاجتماعي :

ويعتبر هذا المنهج من المناهج الحديثة، والذي يفسر القرآن بشكل مبسط وبنوع من اليسر والسهولة لمعالجة قضايا المجتمع، حيث يعتمد هذا المنهج على التوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا المجتمع، فليس هناك تعارض بينهما، ويساهم في تقديم الحلول الناجعة لبعض الحوادث التي قد تطرأ على المجتمع.

وكان في طليعة من نادى إلى هذا المنهج، الشيخ محمَّد عبده في تفسيره المنار، وسار على ركابه تلميذه السَّيد رشيد رضا، وقد ظهرت حديثاً بعض الدراسات القرآنية لأجزاء من القرآن احتضنت هذا المنهج، ونشير إلى ما كتبه الدكتور محمَّد أحمد خلف الله في كل من :

أ- القرآن والثورة الثقافية.

ب- القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة.

ت- القرآن والدولة.

وكذلك الجهد الكبير الَّذي قدمه سماحة الشيخ ناصر مكارم شيرازي في كتابه الموسوم، والمسمى (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)، والذي هو عبارة عن تفسير متكامل للقرآن، يغلب عليه الطابع الاجتماعي.

(أسلوب التفسير الموضوعي).

ويعد هذا الأسلوب من الأساليب المتأخرة التي أستخدمت من قبل بعض المفسرين الفريدة في نوعها، ويمتاز عن غيره بعدد من الخصائص والمميزات التي دفعت الكثير إلى الاتجاه نحوه والخوض فيه، والذي هو محل بحثنا، وغاية مرادنا، والذي من الممكن أن نستخدم من خلاله العديد من المناهج التي سبق ذكرها، وسنتكلم عنه بشكل مفصل إنشاء الله تعالى.

المبحث الثاني:تاريخ التفسير الموضوعي

لقد اهتم المسلمون بتفسير القرآن الكريم اهتماما كبيراً، وهذا الاهتمام ناتج من تمسكهم بعقيدتهم، وحبهم لقرآنهم، وكتابهم، فلم يسبق لأمَّة ان تمسكت بكتابها كتمسكهم بكتابهم، واهتمت بمثل اهتمامهم، ولقد نشأ ووجد هذا التفسير منذ وجود رسول الله، وتكليفه بالرسالة المحمَّدية الأصيلة، فبدأت عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم، والكشف عن معانيه وأسراره من أول نزوله إلى يومنا هذا، وقد كانت السنة المتبعة: بأنَّ الرسول ﷺ يقرأ كل آية، أو سورة تنزل عليه، ثم يبدأ بتوضيحها وتفسيرها، فالرسول لم تكن وظيفته مقصورة على التبليغ، فقد كلف مع التبليغ ببيان ما يبلغه، والآية

الكريمة صريحة في دلالتها على ذلك، فيقول جل ثناؤه لنبيه:﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتَّاب إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ويقول عليه السلام:«من سره أن يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[2]، و كان حريصاً في إيصال مفاهيم معاني آيات القرآن الكريم إلى المسلمين، فيقول ابن مسعود :«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتّى يعرف معانيهن و العمل بهن»[3].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول:«ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا سؤولاً»[4]، كما كان شديد الحرص أيضاً على بث العلم و نشره بين المسلمين وبمختلف طبقاتهم.

ومن الطبيعي أن يبدأ تفسير القرآن بصورة أضيق مما هو عليه الآن لأنَّ القوم الذين نزل عليهم القرآن عرب خلص فهم ليسوا بحاجة إلى تفسير كل القرآن كما نحتاج إليه في هذه الأزمان.

لذلك أخذ التَّفسير في زماننا هذا أبعاداً جديدة عما كان عليها في عهد رسول الله عليه السلام، فظهرت لدينا العديد من المدارس والاتجاهات كان نتاجها العديد من المناهج التي أطلق عليها حديثاً بالمناهج التَّجزئيَّة أو الترتيبية : أي أنها تفسر القرآن بشكل كامل و مرتب آية آية، وفي حدود القرن الرابع عشر

---

١ – النحل:٦٤.

٢ – الذهبي، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٧٦.

٣ – الطبرسي، الفضل بن الحسن،مجمع البيان في تفسير القرآن،ج١، ص١٧.

٤ – العياشي، محمَّد بن مسعود، تفسير العياشي، ج١، ص١٦.

تقريباً ظهر عندنا مصطلحاً جديداً في التَّفسير وهو مصطلح التَّفسير الموضوعي[1].

ولا يفوتنا القول: بأنَّ لهذا التَّفسير أسس كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة الرسول ﷺ، ونستنتج ذلك من خلال التفسير الَّذي قامت به السنة لبعض سور و آيات القرآن الكريم، وأيضاً ما قام به أهل البيت رضي الله عنهم والصحابة، والتابعين، وتنقل لنا البعض من المصادر بذوراً للتفسير الموضوعي كانت موجودة:

أ- في السنة المباركة منها : - ما جاء في الآية الكريمة :

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[2].

يقول الله تعالى مبيناً لعدة الآيسة، وهي التي قد قطع عنها المحيض لكبرها، وكذا الصغار اللآئي لم يبلغنَّ سن المحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر.

فقد أشكل على بعض الصحابة فهم هذا الشرط، وجاء سبب النزول معيناً لهم على فهم المراد منه : فقد أخرج الحاكم عن أبي بن كعب انَّه لما نزلت الآية في سورة البقرة في عدة النساء وهي: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ

---

١ - مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٧.

٢ -الطلاق:٤.

بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

- والآية الأخرى : ﴿وَالَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، قالوا بقيت عدة الصغار والكبار لم تذكر[3]، فنزل قوله تعالى:﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حملهن﴾[4].

ب- ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام :

ولقد سار على خطى رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام فراح يستخرج الموضوعات من القرآن الكريم، ويربط بين الآيات، وفي إحدى الروايات التي تنقل عنه يعرض موضوعاً يفصل فيه أقسام الكفر في القرآن الكريم مذيلاً كل قسم بالآيات التي اشتق منها، فيقول عليه السلام: وأما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه:

أ- منها كفر الجحود.

---

١ - البقرة:٢٢٨.

٢ - البقرة:٢٣٤.

٣ - العمري،أحمد جمال، دراسات في التَّفسير الموضوعي، ص٥٠.

٤- الطلاق :٤

ب- ومنها كفر فقط.

ت- ومنها كفر الترك لما أمر الله تعالى به.

ث- ومنها كفر البراءة .

ج-ومنها كفر النعم.

فأما كفر الجحود فأحد الوجهين:

أـ جحود الوحدانية، وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية الَّذين يقولون: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَّا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1] ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[2] أي لا يؤمنون بتوحيد الله.

ب ـ والوجه الآخر من الجحود، هو: الجحود مع المعرفة وبحقيقته قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[3].

وأما الوجه الثَّالث من الكفر، فهو: كفر الترك[4].

---

١ -الجاثية :٢٤.

٢ -البقرة :٦.

٣ - النمل: ١٤.

٤ - يبدو إنَّ الوجه الثاني قد سقط من الرواية أثناء النقل.

لما أمر الله به وهو من المعاصي قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[1].

الرابع :كفر البراءة

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حتّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[2]، فقوله: "كفرنا بكم": أي تبرأنا منكم، وقال سبحانه في قصة إبليس وتبريه من أوليائه من الإنس إلى يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] "أي تبرأت منكم وسمى ذلك كفراً وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[4]، فهاهم الذين في النار يتبرؤون من بعضهم البعض، ويكفرون ببعضهم البعض.

وأما الوجه الخامس من الكفر[5]: وهو كفر النعم قال الله تعالى عن قول سليمان عليه السلام: ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ

---

١ – البقرة:٨٤.

٢ – الممتحنة:٤.

٣ – إبراهيم:٢٢.

٤ – العنكبوت:٢٥.

٥ – المجلسي، باقر، بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٦٠.

رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2].

فالتفسير الموضوعي؛ **إذن يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع مختلفة، أو في موضع واحد، وذلك من أجل تحديد النَّظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين.**

وقد خضع هذا المنهج في البحث لقانون التطور الذي يحدث عادة في مناهج البحث، فمر بمراحل متعددة حيث قام المنهج القديم للتفسير بدور الحضانة له ثمَّ بلغ رشده وانفصل عنه، فإذا بالموضوعات القرآنية المختلفة تتخذ صفة البحث المستقل عن (الهيكل العام للتفسير القديم).

أسباب ظهور التفسير الموضوعي

إنَّ هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ظهور التفسير الموضوعي، نستطيع أن نوجزها ما يلي:

١- الطبيعة العامة لهذا العصر حيث شهد تحكم (الجاهلية) في العالم، ووصول أفكارها إلى عقول ومجتمعات المسلمين، وقيام الكفار بتصعيد الغزو الفكري ضد المسلمين، فدعت هذه الحاجة المفكرين والعلماء الإسلاميين

---

١ - النمل:٤٠.

٢ - إبراهيم:٥٧.

المعاصرين إلى التوجه إلى القرآن، وتدبره لاستخراج حقائقه التي يتم بها تفنيد الأفكار والمبادئ الغازية الجاهلية ومواجهتها.

٢- الوضع العام المحزن للمسلمين في هذا العصر، وقد دفعت هذه الظاهرة العلماء إلى الدعوة من أجل العودة إلى القرآن .

٣- إصدار أعمال علمية موضوعية عامة، تتعلق بالقرآن وألفاظه وموضوعاته ساعدت هذه الدراسات المعجمية العلميَّة الباحثين في القرآن سهلت عليهم استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات.

٤- التفات أقسام التَّفسير في الدِّراسات العليا في الكليات الشرعية، والجامعة الإسلامية إلى أهميَّة الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم[١].

نشأة التفسير الموضوعي في العصر الحديث.

نشأ التفسير الموضوعي في العصر الحديث، ممتزجاً بالتفسير بشكل عام، وهذا التفسير الذي تظهر فيه ذاتية المفسر، وشخصيته، وملكته الأدبية، وقدرته على بلورة الأفكار، في غلاف شفاف من الأسلوب الأدبي المؤثر، وهو يعتمد أيضاً على الفتن في استجلاء مكامن علوم البلاغة، لإظهار ما يؤديه من جمال التصوير، وقد بدأ هذا اللون من التفسير، في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً بجهود الشيخ محمَّد عبده، فقد حاول ان يعرض تفسيراً دقيقاً للجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهو جزء عمَّ أخلاه من كل الشوائب العقيدية

١ - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التَّفسيرالموضوعي بين النَّظرية والتطبيق، ص٤٨.

والإسرائيلية، واستخدم الفكر الحر في فهم معاني القرآن، وما دعى إليه في أسلوب من الرقي بالروح، والنهوض بالمجتمع في أسلوب أدبي ناصع، وبتحليل علمي دقيق، ولقد سار على منهجه علماء كثيرون نذكر منهم :

أ- الشيخ سيد قطب.

ب-الشيخ أمين الخولي.

ت-الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

ث-الدكتور شوقي ضيف.

ج-الدكتور محمَّد خلف الله أحمد[١]

١ - العمري، احمد جمال ، دراسات في التَّفسير الموضوعي ، ص ٥٧.

أهم المؤلفات المعاصرة في التفسير الموضوعي.

هناك العديد من الكتاب والمفسرين الذين كتبوا في هذا الميدان كتباً وبحوثاً منها:

١- مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم.

٢- المدخل إلى التفسير الموضوعي: الدكتور عبد الستار فتح الله السَّعيد.

٣- المدرسة القرآنية: السيد محمَّد باقر الصدر.

٤- البداية في التفسير الموضوعي: للدكتور عبد الحي الفرماوي.

٥- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي: للدكتور الحسيني أبو فرحة.

٦- دراسات في التفسير الموضوعي: للدكتور زاهر عواض الألمعي.

٧- التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان.

٨- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الدكتور صلاح الخالدي.

٩- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن : للدكتور زياد خليل الدغامين.

١٠- التفسير الموضوعي : التأصيل والتمثيل : للدكتور زيد عمر العيص.

١١- مناهج التفسير الموضوعي : للدكتور صلاح عثمان رحماني.

١٢- التفسير الموضوعي :للدكتور أحمد الكومي، والدكتور محمَّدا لقاسم.

١٣- التفسير الموضوعي في كفتي ميزان : للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم.

١٤- الدكتور محمَّد محمود حجازي في رسالته للدكتوراه المعنونة بـ «الوحدة الموضوعية في القرآن».

١٥- الشيخ محمَّد شلتوت، من هدى القرآن.

١٦- الشيخ عبدالله جوادي الآملي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

١٧- الشيخ جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن.

١٨- الشيخ ناصر مكارم شيرازي، نفحات القرآن.

١٩- محمَّد البهي، التفسير الموضوعي للقرآن [١].

ألوان التفسير الموضوعي

يتصور التفسير الموضوعي في ثلاثة ألوان:

الأول : التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، وهو: أن يتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمعها، أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني : وهو تحديد الموضوع الذي يتعرض القرآن الكريم له بأساليبه متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، فيتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، فيستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره.

---

١ - سلامة، محمَّد علي، قراءة في اتجاهات التَّفسير في العصر الحديث، ص١٢٢.

الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وهو أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي أو أهدافها الرئيسة، ثمَّ يبحث عن النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدنية ثمَّ يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة[1].

المبحث الثالث: أسس وقواعد التفسير الموضوعي

إن لكل شئ أسساً وقواعد هذه الأسس والقواعد هي التي تساهم في بناء الأشياء وتدعيمها، وهذا ما نجده في علم التفسير، فعلم التَّفسير بصورة عامة يعتمد على الكثير من القواعد ذكرها المختصون في كتبهم، ويشترك التفسير الموضوعي مع التفسير التجزئي فيها لأنه كما ذكرنا سابقاً، فهو يعتمد عليه اعتماداً كلياً، ولا تأتي مرحلته إلا بعد مرحلة التَّفسير التَّجزئي، وقبل الإشارة إلى القواعد الخاصة بالتفسير الموضوعي، لابد من الإشارة ولو بشكل موجز إلى بعض القواعد العامة والتي يشترك فيها أسلوب التفسير الموضوعي مع أسلوب التفسير الترتيبي .

أ- قواعد التفسير(العامة):

إنَّ الذي يتدبر في القرآن والسنة يستطيع من خلالها أن يصل إلى جذور لهذه القواعد التي تخص تفسير القرآن الكريم، وخير شاهد على ذلك هو قيام

---

١ - مسلم ، مصطفى ، مباحث التَّفسير الموضوعي : ص٢٣-٢٩. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح، المصدر السابق ، ص٥٢.

آل بيت الوحي عليهم السلام وأصحابه الهداة المهديين، فقد كان لديهم من القواعد الشرعية ما يؤهلهم لفهم كتاب الله -عز وجل- إلا ان ذلك لم يدون، وإنَّما ابتدأ تدوينه في فترة متأخرة للظروف الخاصة التي أحاطت بالمسلمين.

والقواعد التي تخص التفسير بشكل عام قد تطورت، ونمت مع مرور الأيام، والشهور، والسنين، شأنها شأن غيرها من قواعد كل علم، ولكن من المؤكد أن هذه العلوم والقواعد والأصول كانت حصيلة بحوث، ودراسات قام بها علماء أفذاذ من المسلمين -أهل البيت، والمنتجبين من صحابة الرسول عليهم السلام والتابعين لهم وبقية المسلمين- منذ بداية حركة التدوين، وعهد زمن التصنيف إلى عهدنا هذا، ويمكن إيجازها بما يلي :

١- قاعدة في حجية ظواهر القرآن:

فالظاهر عبارة عن اللفظ الذي له ظهور قابل للتأويل بسبب القرائن، والظهور عبارة عن بروز المعنى من اللفظ الظاهركما قال الغزالي: (النص هو الذي لايحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمله)[١].

٢- قاعدة في اعتبار السياق:

فقد عرف من قبل الشيعة على إنَّه: (كل ما يكتنف اللفظ الَّذي نريد فهمه من دوال أخرى، سواء كانت لفظية أو حالية)[٢]، أمَّا الزركشي فقد أشار إلى إنَّها ترشد إلى تبين المجمل، وتنوع الدَّلالة[٣].

---

١ - الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج١، ص٣٨٤.

٢ - الصدر، محمَّد باقر، دروس في علم الأصول ، ج١، ص١٠٣.

٣ - الزركشي، محمَّد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن ، ج٢، ص٢٠٠.

٣- قاعدة في الجري والتطبيق والمقصود بها: هو العناية بإمكان الوصول إلى ما خفي من المعاني، أو خفي من المصاديق، بعد التوجه إلى المعاني الظاهرة الحاصلة من الألفاظ المفردة وتراكيبها. ومن ثم بيان شرعية بعض التأويلات ورفض بعضها[١].

٤- قاعدة الترابط بين الآيات وتناسبها، فيقول: الزركشي وفائدتها جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعضه، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٢].

٥- قاعدة في العناية بموارد النسخ :

فا لنسخ في الاصطلاح هو: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر من الأحكام التكليفية، أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية، أم غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله بما أنه شارع[٣].

٦- قاعدة في الحذر من التفسير بالرأي :

وهي عبارة عن لزوم الحذر من التَّفسير بالرأي، وعدم تحكيم الرأي الباطل في القرآن، والعناية بكشف مراد الله تعالى من القرآن بطريقه الصحيح[٤].

٧- قاعدة في إرجاع متشابه القرآن إلى محكمه :

---

١ - المبيدي، محمَّد فاكر، قواعد التَّفسير لدى الشيعة والسنة ، ص٣٠٠.

٢ - الزركشي، محمَّد بن عبد الله، المصدر السابق ، ح١، ص٣٥.

٣ - الخوئي، السيد أبو قاسم، البيان في تفسير القرآن ، ص٢٩٦.

٤ -المبيدي، محمَّد فاكر، المصدر السابق، ص٣٥٤.

ومعنى هذه القاعدة هي : بيان حكم الآيات المتشابهة في عملية التَّفسير، للوصول إلى المعاني المرادة من تلك الآيات بواسطة ماهو المقرر[1].

٨- قاعدة في العناية بأسباب النزول :

والمراد منها : العناية بأسباب النِّزول في عملية التَّفسير ، لكشف مراد الله تعالى من نزول كلامه[2].

٩- قاعدة في العناية بخصائص الكلام:

المراد بها: العناية بخصائص الكلام في عملية التفسير للوصول إلى مراد الله تعالى من كلامه[3].

ب- القواعد الخاصة:

والواقع أنَّ التفسير الموضوعي يشترك مع التفسير التجزئي في هذه القواعد التي ذكرناها، إلا انه يختص بقسم آخر من القواعد ويمتاز بها، و يمكن إجمالها بما يلي :

١ - تصور الموضوع ومحاولة تحديده وتشخيصه وعنونته.

٢ - تتبعه في سور القرآن الكريم، وجمع الآيات التي تعرضت له وتطرقت إليه.

---

١ - المصدر نفسه، ص٣٦٣.

٢ - المبيدي ، محمَّد فاكر، المصدر السابق،ص٣٧٨.

٣ -المصدر نفسه،ص٣٩٠. .انظر: السعدي، عبد الرحمن ناصر،كتاب القواعد الحسان في تفسير القرآن، ص ٣-٣٩.

٣ – الوقوف على أقوال أهل التفسير في تلك الآيات، وترتيب نزولها (مكيها مدنيها) وأماكنها.

٤ – استنباط عناصر الموضوع من طرق عرض القرآن الكريم له، وأقوال أهل التفسير فيه.

٥ – التنسيق بين تلك العناصر بما تقتضيه طبيعة وآلية البحث، والتسلسل المنطقي لأفكاره.

٦– وضع مقدمة تبين لنا طريقة القرآن الكريم في عرض أفكار ذلك الموضوع.

٧– تقسيم الموضوع إلى أبواب، وفصول، ومباحث، ومسائل، مستدلاً على ذلك التقسيم بالآيات ذاتها.

٨ – ربط الموضوع بواقع الحياة، ومشكلاتها، محاولاً تقديم الحلول القرآنية المناسبة لها[١]، وكما عبر عنها السيد الشهيد الصدر ﵀:(أن يبدأ المفسر من الموضوع المعين وينتهي إلى القرآن الكريم وهو ما يعبر عنه بالبعد الأول، أما الأمر الأخر:أن يختار المفسر مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد، ويقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع)[٢].

---

١ – الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التَّفسير الموضوعي بين النَّظرية والتطبيق، ص٤٣.

٢ – الصَّدر ، محمَّد باقر، المصدر السابق ، ص٣٦. انظر : الميبدي ، محمَّد فاكر ، قواعد التَّفسير لدى الشيعة والسنة ، ص٤٢٠– ٤٤٥.

٩- ومن قواعدالمنهجية العلميَّة الصحيحة لهذا النوع من التناول الخاصة تجنب الباحث الإسرائيليات، والروايات الضعيفة، والقصص والتاريخ، ويُعنى بشرح الكلمات الغريبة وتوجيه القراءات، وإبراز النكت البلاغيَّة التي تُعرض له أثناء البحث وذلك في الحاشية.

الفصل الثالث

المبحث الأول: معنى التفسير الموضوعي عند الصدر

المبحث الثاني: مقارنة بين التفسير التجزئي والموضوعي

المبحث الثالث: شروط التفسير الموضوعي

المبحث الأول: معنى التفسير الموضوعي عند الصدر

التفسير الموضوعي مصطلح معاصر لم تمض على استخدامه في الساحة الإسلامية إلا بضعة عقود، لذلك تنَّوعت واختلفت من حوله التعريفات من قبل المختصين في هذا الشأن، فلقد مال بعضهم لتعريفه من خلال اللغة فيما تدل عليه مفردتا (التفسير، و الموضوعي)[1] وعدت هذه الخطوة نافعة إلا أنها لا تكفي، ومال آخر إلى تعريفه بأنَّه:(القصد إلى موضوع خاص في القرآن أن يجمع ما تفرق منه)[2]، ويرى محمود شلتوت على أنه:(عمد المفسر أولاً إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين بعضها البعض فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الَّذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع وبذلك يضع كل شيء موضعه ولا آية على معنى لا تزيده، كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصرح الإلهي الحكيم)[3] وهذا التَّعريف يلاحظ عليه : انه مقيد في القرآن وحدوده ، ولم يتطرق إلى الواقع، ويعرفه الدكتور الدغامين بأنَّه: (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من سورة أو أكثر)[4]، وهذا التعريف أنما

١- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٥.

٢ - محمَّد حسين، الذهبي، التَّفسير والمفسرون، ج١،ص١٤٨.

٣ - محمود شلتوت، من هدي القرآن، ص٣٢٢-٣٢٣.

٤ - الدغامين، زياد خليل محمَّد، منهجية البحث في التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص١٦.

يركز على القضايا الموجودة في القرآن في سورة أو أكثر من سورة دون أن يركز في آية أو مجموعة آيات.

ويقول آخر في تعريفه: (هو أن يأخذ الباحث الآيات التي تتصل بموضوع واحد يشَـيد منها بناءاً واحداً متماسك متناسق فإن أعوزه كمال ذلك الموضوع إلى حديث، يستكمل بناء الصرح بما جاءت به السنّة)[1].

ويمكن أن نقول : بأن هذا التعريف أعم من الذي سبقه حيث لم يقتصر على السورة فقط، أو أكثر، وإنَّما يأخذ الآيات القرآنية التي لها صلة بموضوع واحد، إضافة إلى ذلك، فإنه تكلم عن السنة -أي أدخل السنة في التَّعريف- ولا خصوصية لذكرها فيه، ولم يلحظ على المُعَرِف أنه يتكلم عن الواقع أيضاً.

ويعرفه أحمد رحماني على أنه: (منهج مستحدث في تفسير القرآن يوظّـف لسبر أغوار الموضوع من خلال القرآن كلّه أو سورة منه للخروج بتصور حوله أو نظرية فيه)[2].

وفي التعريف وصف للمنهج بأنه مستحدث مما يستدعي البحث عمن استحدثه، والفترة التي كان فيها ذلك الاستحداث، وحينما يقول: يوظف لسبر أغوار الموضوع من خلال القرآن..... للخروج بتصور أو نظرية، فالذي يظهر من كلامه هو: الابتعاد عن الواقع الخارجي كما يلاحظ، إضافة إلى إنه لم

---

١ - العمري، احمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص٤٣.

٢ - رحماني، أحمد، مصادر التفسير الموضوعي، ص٥٥.

يذكر الجانب العملي أو التطبيقي، فقط ركز على أن الهدف منه هي الخروج بـ(تصور حوله أو نظرية فيه).

إلا أن التصور والنظرية لا يعني كلاً منهما التماسّ بالواقع الخارجي.

أما السيد محمَّد باقر الحكيم فقد عرفه بأنَّه: (هو الذي يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة، تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو موضع واحد، وذلك من اجل تحديد النَّظرية القرآنية بملامحها وحددها في الموضع المعين)[1].

والملاحظ على تعريفه أيضاً: إنه يتقيد بالموضوعات التي تعرض لها القرآن، وليس مما تفرضه حاجة الحياة، ولم يذكر الواقع بشيء، فهو من القرآن وإلى القرآن .

وأما السيد جليلي فيعرفه على أنَّه: (مسعى بشري لفهم موقف القرآن بصيغة منهجية منظمة إزاء مسائل وموضوعات عملية ونظرية حية، منبثقة من معارف بشرية، وأوضاع الحياة العامة مما يرتقب أن يكون فيه للقرآن كلمة فصل)[2].

وهذا التعريف للتفسير الموضوعي أقرب ما يكون لتعريف السيد الشهيد الصدر، حيث يلاحظ منه السعي البشري لمعالجة مشاكل الواقع الاجتماعي على ضوء فهم القرآن .

وأما الأستاذ أمين الخولي فقد عبر عنه :

---

١ - الحكيم، محمَّد باقر، علوم القرآن، ص٣٤٤.

٢ - جليلي، هدايت، منهجية التَّفاسير الموضوعية للقرآن، ص١٧٠ ، نقلا عن التَّفسير الموضوعي ، مقارنات بين السَّيد الصَّدر وآخرين ، جواد علي كسار، ص٢٠.

بـ (أنه دراسة القرآن موضوعاً لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سوراً، أو قطعاً، وأن تجمع آياته الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستفيضاً، ويعرف بترتيبها الزمني ومناسباتها، وملابساتها والحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم ، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تجديده)[1].

وهذا الرأي يعني أن يقوم بعض المتخصصين على دراسة شذرات من القرآن كل حسب تخصصه، فيجمع مادة موضوع من مواضيع القرآن لتكون هيكلاً مترابطاً يشكل وحدة موضوعية منه، ثم يقوم بتفسيرها، وهنا لابد ان نذكر بأنه كان كمن سبقه، فلم يتطرق إلى نظرية الواقع وارتباط المفسر بل هو من القرآن وإلى القرآن.

وإما الخالدي فيقول عنه: (هو الذي يلتزم به المفسر (موضوعاً)، لا موضعا بعينه فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها ويقيم منها بناءً متكاملاً يقرر موقف القرآن من قضية ما)[2]، وتعريف الدكتور الخالدي، إنما هو كالتعريف الذي سبقه، فلم يأتِ بشيء جديد.

وعبر عنه الشيخ ناصر مكارم شيرازي: بأنه تجميع الأحداث والمجالات وترتيبها لتتجلى وجهة نظر القرآن الكريم بشأن ذلك الموضوع وأبعاده[3].

---

١ – الخولي، أمين ، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير، ص٣٦٨.

٢ – الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٤٠.

٣ – شيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج١ ،ص٩.

والظاهر على هذا التعريف، انه مترجم من لغته الأم التي كتب بها إلى العربية، وهذه الترجمة لم ترتقِ إلى مستوى التعبير عن التعريف الذي ذكره الشيخ مكارم، وخاصة حينما يذكر كلمة (مجالات) ويقرنها بكلمة (أحداث).

ومن الممكن القول : بأننا نستخلص من التعريف أنه تجميع الأحداث التي تتعلق بموضوع واحد في القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نصل إلى النظرة القرآنية الكاملة والتامة.

وأما السيد الشهيد، فيذكر في كتابه المدرسة القرآنية، اتجاهين رئيسين لحركة التفسير أحدهما، أطلق عليه الاتجاه التجزئي : وهو الذي يتناول فيه المفسر القرآن الكريم آية فآية، وفق تسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف[1]، وأمَّا الثاني فهو الاتجاه التوحيدي (الموضوعي)، والذي هو محل بحثنا.

ولكن قبل أن نتكلم عنه لابد من أن نوضح، ما هو المعنى المراد من الموضوعية عند السيد الشهيد؟

فقد ذكر رحمه الله للموضوعية ثلاثة معان :

الموضوعية في مقابل الذاتية والتحيز، والموضوعية بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث، وهو أمر لا بد منه في كلا المنهجين: (التجزئي، والتوحيدي) ولا اختصاص لأحدهما به.

---

١ – الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص٢٠.

الموضوعية بمعنى أن يبدأ في البحث من (الموضوع) الذي هو الواقع الخارجي ويعود إلى القرآن الكريم لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجي.

بحيث يستوعب المفسر المشاكل التي أثارها الفكر الإنساني، حول تلك التي قدَّمها ثم يأخذ النص القرآني ويبدأ معه حواراً، فالمفسر يسأل والقرآن يجيب[1].

وقد يسمى هذا المنهج أيضاً بالمنهج (التوحيدي) باعتبار أنه يوحد بين (التجربة البشرية، والقرآن) لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية[2].

وقد يراد من الموضوعية، ما ينسب إلى الموضوع، حيث يختار المفسرموضوعاً معيناً ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسرها، ويحاول استخلاص نظرية قرآنية منها فيما يخص ذلك الموضوع[3].

وقد تعرض بعضهم للمعنى اللغوي، فالموضوع لغة من الوضع وهو جعل الشيء في مكان ما سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء

---

١ - المصدرنفسه، ص١٩.

٢ - الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص٢٨.

٣ - الحكيم، محمَّد باقر، علوم القرآن، ص٣٦٧.

والتثبيت في المكان وهذا المعنى ملحوظ في التَّفسير الموضوعي لأن يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه حتّى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به[1].

وأما مقصود السيد الشهيد من الاتجاه الموضوعي أو التفسير الموضوعي فهو: (محاولة القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الاجتماعية أو الكونية) وهو يستهدف تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون[2]. وبعبارة أُخرى (يحاول أن يصل إلى مركب نظري قرآني) وهذا ما نسميه في لغة اليوم (بالنظرية). يصل إلى نظرية قرآنية عن النبوة نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي، نظرية قرآنية عن سنن التاريخ[3].

فالشهيد الصدر لم يلغ التصور المتعارف عليه عند البعض وهو: أن ينكب المفسر على متابعة موضوع ما من مواضيع الفكر ليبحث من خلال مجموعة الآيات التي تتناوله موقف القرآن منه، وإنما تجاوزه إلى معنى أرحب يتسم بالحركة والحيوية، فهو يقترح للاتجاه الموضوعي عنواناً مزدوجاً هو: (التفسير الموضوعي - التوحيدي) ثم يصرف هذا العنوان إلى تعريفين هما :

أ: يعني بالاصطلاح الموضوعي في الأول الانطلاق من الموضوع من الواقع الخارجي من الشيء الخارجي ثمَّ يعود المفسر إلى القرآن الكريم.

---

١ - مسلم، مصطفى، المصدر السابق، ص ١٥.

٢ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٢٢.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٣.

وهو توحيدي باعتبار انه يوحد بين التجربة البشرية والقرآن، ولكن لا بالمعنى الذي يحمل التجربة البشرية على القرآن، ويخضع القرآن لها، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، ويستنبط المفهوم القرآني الذي يمكن ان يحدد موقف الإسلام اتجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه.

ب : أما على أساس التعريف الثاني، فيأتي التفسير الموضوعي لاعتبار أنه يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد، وهو توحيدي بصفة كونه يوحد بين الآيات، ويستنبط من حصيلة مدلولاتها مركباً نظرياً واحداً[1].

مقارنة بين منهج الصدر وآخرين.

حينما نعود إلى جميع الإبعاد الإنتاجية الفكرية للشهيد الصدر، نجد أن ولادة فكرة التفسير الموضوعي لديه هي ولادة طبيعية، وتعتبر تتويجاً لمساره الفكري ونجد مساره كمفكر مساراً مترابطاً قائماً على جذور، وأسس علمية رصينة نابعة من عنصرين أساسين يشكلان قوام منهجه، وهما :

أولاً: الترابط :

إنَّ الترابط على صعيد أجزاء الفكرة الواحدة، أو على ضوء علاقاتها لبقية جوانب الإسلام هو ثابت منهجي في جميع أعمال الصدر﵀، وهذا ما نراه واضحا في كتبه، فالذي يقرأ كتاب (فلسفتنا) يرى عنصر الترابط واضحاً وجلياً

---

١ – مسلم، عبد الإله، سنن التاريخ نموذجاً للتفسير الموضوعي، قضايا إسلامية، العدد السابع، ص٨١

من خلال المقدِّمة التي ذكرها حول حكايتها عن الترابط بين نظرية المعرفة والمفهوم الفلسفي للكون .

وحينما نتصفح في بحثه(حول المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف) نجد هذا الترابط موجوداً، وكذلك في بقية كتبه من أمثال (البنك اللاربوي في الإسلام)، و (الإسلام يقود الحياة)، أو (الأسس المنطقية للاستقراء).

ثانياً: الانفتاح على الواقع ووعيه :

وهذا العنصر يشهد له الواقع الذي عاشه الشهيد الصدر من خلال كونه شخصية حركية كان همها تغيير الواقع الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فانعكس هذا الهم على تلك الشخصية كغيرها من الشخصيات الأُخرى التي انعكست همومها على شخصيتها سواء كانت على المحيط العالمي أو الإسلامي أو العربي، فمثلاً ما قبل الثورة الفرنسية (١٧٨٩م)، فأنَّ أدبيات كتابها كجان جاك روسو، وفولتير، هي إنعكاس لما يعيشه أبناء المجتمع الفرنسي في تلك الفترة من هموم وحرمان واضطهاد تعرضوا له من قبل النبلاء، وكذلك ما نلاحظه في كتب المسلمين، حينما تعرضوا إلى النكبات والمآسي، وكذلك الواقع العربي، فقد عانى من الاحتلالات المتتالية: (العثمانية، الفرنسية، والبريطانية، وغيرها) فانعكس ذلك في كتبهم، كالشيخ عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد)، والشيخ محمَّد عبده وغيرهما من الكتَّاب العرب المسلمين .

ويمكن أن نجري مقارنة بين منهج الشَّهيد الصَّدر وغيره من المناهج التي كتبت في التَّفسير الموضوعي، من أمثال: الدكتور محمَّد عبد الله الدراز (دستور الأخلاق في القرآن الكريم)، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه (نفحات القرآن الكريم) .

منهج الدكتور محمَّد عبد الله الدراز [1]

تعتبر محاولة الدراز من أهم المحاولات الرائدة في حقل التَّفسير الموضوعي، إذ تم الإعداد لها مبكراً منذ أواسط الثلاثينات والشروع بكتابتها سنة ١٩٤١م ونال عليها الدكتوراه سنة ١٩٤٧م؛ وظلت باللغة الفرنسية إلى أن قدر لها أن تترجم إلى العربية سنة ١٩٧٣م.

وقد ارتكز في منهجه على عدة مرتكزات منها:

أولاً: إيمانه بالمنهج الموضوعي، وقد أطلق عليه مصطلح النظام المنطقي واضعاً إياه مقابل المنهج الترتيبي، أو التَّجزئي حسبما أطلق عليه الشهيد الصدر، وقيامه بجمع النصوص وفق هذا النظام حيث قال : (واتبعنا أخيرا نظاماً منطقياً بدلاً من التزام نظام السَّور، أو النظام الأبجدي للمفاهيم) [2].

---

١ – ولد الدراز في مصر سنة ١٨٩٤ م (١٣١٢ هـ) من بيت علمي ، فلوالده الشيخ عبد الله الدراز شرح على موافقات الشاطبي وقد حفظ القرآن في سن العاشرة و التحق بالمعهد الديني في الإسكندرية أوائل ١٩٠٥ م ، وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٩١٦م، ودرس في جامع الأزهر في قسم اللغة العربية وأقسام أخرى وصنف كتاب المختار عند تدريسه مادتي التَّفسير والحديث في كلية أصول الدين ١٩٣٢م، ثم بدأ كتابه بحوث في القرآن ، والتي تعتبر بدايات كتابه (النبأ العظيم) بعث من الأزهر إلى فرنسا للالتحاق بجامعة السَّوربون بباريس فأمضى فيها المدة بين آذار ١٩٣٧م – وآذار ١٩٤٨ م.

وحصل على الليسانس من السَّوريون سنة ١٩٤٠م وعلى الدكتوراه سنة ١٩٤٧م. وقد شغل العديد من المناصب التَّدريسية والعلمية عند عودته إلى مصر ، توفي في باكستان أثناء حضوره المؤتمر الإسلامي في كانون الثاني ١٩٥٨م. استلت هذه الترجمة من مقدمة كتابه (النبأ العظيم) ص٧.

٢ – دراز، محمَّد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ص ١٠.

ثانياً: النصوص في عمله مجمعة في فصول، بحسب نوع العلاقة التي سيقت القاعدة في تنظيمها، وقد ميزت في داخل كل طائفة عدة مجموعات صغيرة من نصوص، وضع لها عنواناً فرعياً يوجز التعليم الخاص الَّذي يستقي منها[1].

ثالثاً: وبعد ذلك يقوم بخطوة وهي عبارة عن صورة بناء متماسك مستقل يعبر عن الشريعة الأخلاقية في القرآن[2].

رابعاً: تكلم عن المنهج الأخلاقي في القرآن بصورة عميقة في معناها لم يقتصرفيه على الإنسان وحده بل يتعدى إلى أسرته وإلى الناس أجمعين.

فهو لم يقتصر على طائفة أو ملة، بل تعدى إلى الملل والطوائف، فيقول: (تنظيم النصوص بمجموعها على هذا الوجه يبني لنا منهجاً كاملاً للحياة العملية كما رسمها القرآن، كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك مع نفسه، وأسرته والناس أجمعين؟ وما المبادئ التي يجب ان تحكم علاقات بين الحاكمين والمحكومين وبين الدولة أو المجتمعات؟ وكيف يؤدي الإنسان العبادة لله؟ وكل ذلك قد قيل بطريقة واضحة ومحددة)[3].

خامساً: يرتكز الدراز في منهجه كما هو واضح على القرآن ذاته، فلم يرجع إلى ذاتيات الباحث، أو المفسر أو تأثيرات العلوم، أو المناهج الأخرى، وهذا بيّن وصريح من خلال قوله: (نحن نتخذ من القرآن ذاته انطلاقاً، بحيث كان دأبنا الدائب أن نستخرج منه الإجابة عن كل مسألة بالرجوع المباشر إلى

---

١ - المصدر نفسه، ص١٠.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٨.

٣ - الدراز، محمَّد عبد الله، المصدر السابق، ص١٠.

النص)[1]، وتعد هذه التجربة من التجارب التي لها قصب السبق في التَّفسير الموضوعي على الرغم من عدم امتلاكنا دليلاً يرشدنا إلى ان الدراز أراد ان يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن وفق هذا المنهج.

تجربة الشيخ ناصر مكارم شيرازي :

من المعروف بأنَّ الشيخ ناصر مكارم شيرازي من العلماء الكبار، وله دوره وجهده المعروف في التأليف بمختلف المجالات، وقد اشتهر (حفظه الله) بتفسيره الأمثل الذي كتبه بمساعدة مجموعة من الفضلاء، وكان من نتاجه أيضاً قيامه بكتابة تفسير على وفق المنهج الموضوعي في عشرة مجلدات تحت عنوان (نفحات القرآن) تكلم فيه بداية عن الأنماط المختلفة للتفسير، ثم بعد ذلك تطرق إلى تعريف التفسير الموضوعي، وما هي المشكلات التي يمكن حلها بالتفسير الموضوعي؟ وتاريخ التفسير الموضوعي، وما هو التَّفسير الموضوعي في كلمات العلماء السابقين؟ ثمَّ ذكر أساليب التفسير الموضوعي، وحددهما بأسلوبين[2]، وأنَّ تصوره المنهجي للتفسير يرجع مستوياته إلى خمس مراحل متعاقبة، هي :

---

١ – المصدر نفسه، ص١٣.

٢ –يوجد أسلوبان للتفسير الموضوعي:الأسلوب الأول: الذي اختاره بعض المفسرين في عملهم، هو أنهم يتناولون المواضيع المختلفة كالموضوعات العقائدية (التوحيد والمعاد و..) والموضوعات الأخلاقية (التقوى حسن الخلق و...)، وبعد ذكر بحوث فلسفية وكلامية أو أخلاقية ، يذكرون بعض الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع بعنوان الشاهد.

مرحلة تفسير«مفردات القرآن» أي أنّه يبحث كلمات القرآن كلاً على حدة وبالتسلسل على نحو ألف باء على هيئة مُعْجم.

مرحلة التفسير الترتيبي التي يجري فيها بحث آيات القرآن الكريم بالترتيب ويتمّ توضيح مضمونها وماهيتها.

مرحلة التفسير الموضوعي، الذي يحقق ويبحث آيات القرآن الكريم على أساس مختلف المواضيع المتعلقة بأصول الإسلام وفروعه والقضايا الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية والأخلاقية.

«التفسير الإرتباطي» أو التسلسلي، حيث نتناول فيه مواضيع القرآن المختلفة من حيث ارتباطها ببعضها.

«التفسير العام» أو«الرؤية الكونية للقرآن» وهنا يتناول المفسّر جميع مضمون القرآن فيما يتعلق بعالم الوجود، وبتعبير أكثر وضوحاً: يربط كتاب «التكوين» مع كتاب «التدوين» وينظر إليهما معاً، ويفسّرهما من حيث ارتباطها ببعضها[1].

ويقول الشيخ مكارم في تصوره للتفسير الموضوعي: (إنَّ الكثير من آيات القرآن الكريم تأخذ بعداً واحداً من أبعاد موضوع ما، فمثلاً، فيما يخص مسألة (الشفاعة)، فقد ورد في بعض الآيات أصل إمكان الشفاعة، وفي البعض الآخر «شروط الشفاعة» كما في الآيتين من سورتي سبأ ومريم : ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ

الأسلوب الثاني: وهو الذي يتمّ فيه قبل كل شيء جمع الآيات الواردة حول الموضوع من جميع أنحاء القرآن، وقبل أي حكم أو إبداء نظر يتم جمع الآيات وتفسيرها جنباً إلى جنب، وبجمعها وبملاحظة ترابطها نحصل منها على الصورة الكاملة.مقدمة النفحات، ص١٧-١٨.

١ - شيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج١، ص٧-٨.

عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حتّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1]، ﴿أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[2]. وفي بعضها شروط «المشفَّع لهم» كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[3]، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4]، وفي البعض تُنفى الشفاعة عن الجميع ما عدا الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5]، وفي بعض آخر ثبتت الشفاعة لغير الله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[6].

ويتم كلامه حول الشفاعة قائلاً: (نجد إن حالة من الغموض تحيط بأمور الشفاعة بدءاً من حقيقة الشفاعة وحتّى سائر الشروط والخصائص، ولكنَّها عندما نأخذ آيات الشفاعة من القرآن ونضعها إلى جانب بعضها ونفسّرها في ظلِّ بعضها البعض يرتفع هذا الغموض وتُحل المشكلة على أحسن وجه)[7].

---

١ - سبأ: ٢٣.

٢ - مريم: ٧٨.

٣ - الأنبياء : ٢٨.

٤ - غافر: ١٨.

٥ - الزمر: ٤٤.

٦ - المدثر: ٤٨.

٧ - شيرازي، ناصر مكارم، المصدر السابق، ج١، ص١٠.

وكذلك يمتد أسلوبه ليشمل الآيات المتعلقة بأبعاد الجهاد أو الغرض من أحكام الإسلام، أو الآيات المتعلقة بالبرزخ أو علم الله، وكذلك موضوع علم الغيب، وهل الغيب ممكن لمن سوى الله أم لا؟ ويعطينا صورة واضحة عن هذا التفسير من خلال قوله:(لو وضعت آيات كل موضوع في جانب فمن الممكن أداء حق الموضوع وتحل الإشكالات الموجودة عن طريق التَّفسير الموضوعي)[1].

إضافة إلى ما تقدم فإنه يرجع الآيات المتعلقة بـ (المحكم والمتشابه) التي توعز بتفسير الآيات (المتشابهات) على ضوء (المحكمات) إلى أنها نمط من أنماط التَّفسير الموضوعي[2].

ويضرب مثلاً بسيطاً لتقريب فكرة التفسير الموضوعي، حيث يشبه آيات القرآن، بالعناصر الحياتية مثل (الأوكسجين والهيدروجين) فعندما تتركب بعضها مع البعض الآخر ينتج عنها الماء الذي هو عنصر حياتي آخر، وأما لو قارنا بين منهجه، ومنهج الصدر يمكن ان نستنتج ما يلي : إنَّ معطيات التفسير عند الشهيد الصدر تبدو أوسع، وأكثر ثراءً مما تبدو عليه عند الشيخ مكارم، وبطبيعة الحال يعود هذا إلى نظرة كل واحد منهما لمعنى التفسير الموضوعي فحينما نقرأ تعريف الشيخ مكارم نجده لا يتجاوز في تعريفه القول : بأن التفسير الموضوعي هو متابعة موضوع واحد من خلال الآيات القرآنية المختلفة التي تتناوله برؤية موحدة .

---

١ – المصدر نفسه، ص١٠.

٢ – المصدر نفسه، ص١٠.

وهذا يبدو من خلال قوله (جمع آيات القرآن المختلفة مما جاء حول موضوع واحد، ونزل في أوقات وأسباب مختلفة،جمعها من بين دفتي القرآن لكي يتضح موقف القرآن وأبعاده إزاء ذلك الموضوع)[1].

مع أن الشهيد الصدر يسلّم بذلك، ولكن يتجاوزه ليرسم منطلقاً له معنى آخر للتفسير الموضوعي، وهو كما تقدم سابقاً، الانطلاق من الموضوع، أي من الواقع الخارجي، والإحاطة بقضايا هذا الواقع العملية والفكرية واستقصاء معضلاته والحلول البشرية، ثمَّ العودة إلى كتاب الله لمعرفة موقفه من كل ذلك.

إن المنهج الَّذي انطلق منه الشيخ مكارم ربما عبر عنه البعض بأنه يمكن أن ينفد بعد أن يهب عطاياه، وما يكتنزه من ذخائرلأنه يرتبط هو الآخر بمدلولات الألفاظ ومعانيها التي هي محدودة على كل حال[2].

ومقارنة بما ذكر فانَّ السيد الشهيد يستمد منهجه من الواقع الذي لم ينفد ولا ينتهي، لأنَّ وقائع الحياة متجددة دوماً.

ان الفارق الأساس بين المنهجين هو ان تفسير القرآن عند الشهيد يقوم على ركيزتين أساسيتين وهما : الواقع والنص، كما نجد بأن الشيخ مكارم يقوم

---

١ – كسار، جواد علي، مقارنات بين الصدر وآخرين، ص١١٠.

٢ – المصدر نفسه، ص١١٣.

فقط على فقه النص، وإنَّ ركيزة الواقع هي التي جعلت المفكر العربي حسن حنفي يسعى لاستكمال ما بدأه السيد الصدر في تفسيره[1].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن إيجاز التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر بما يلي : قيمة الاتجاه الموضوعي عنده تكمن بإيجاد صلة تفاعل ورابطة وثيقة بين القرآن وحركة الحياة، والقيمومة فيها لكتاب الله، وله المرجعية والكلمة الأخيرة، إذ يساهم هذا الاتجاه في إنقاذ التفسير من طابع التكرار، فله قصب السبق في فتح عين الإنسان المسلم على خزائن القرآن التي لا تنفد: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وكذلك كلماته الباقية أبداً ما بقي الليل والنهار.

إنَّ المفسر في التفسير الترتيبي يحبس نفسه في حركة مغلقة حيث يهفت عطاؤه ويتضائل بعد فترة طالت أو قصرت لأنه يجول في حركته من النص إلى النص دون أن يتعدى ظاهر النص، وإلا فالقرآن كنص وكدلالات نص لا تنقضي عجائبه.

نستطيع القول بأن هذا المنهج يقفز فوق اللغة، ويتجاوز حدود الألفاظ لتتحرك في آفاق المعنى وتجارب الحياة الممتدة دون نهاية : (فالموضوعي لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر

---

١ – حنفي، حسن الدين والتراث في فكره،مجلة الوحدة المغربية ، كسار، نقلاً عن مقارنات بين الصَّدر وآخرين، جواد علي ص١١٤.

٢ – النحل:٩٦.

الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول)[1].

ان القرآن حسب رؤية السَّيد الشَّهيد يلتحم مع الواقع والحياة لأنَّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن[2].

ومما يلاحظ أيضاً بأنَّ نتائجه تكون مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشرية لأنَّها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة[3].

من الأمور الهامة التي يمكن ملاحظتها في منهج الشهيد الصدر هو: عدم ارتباطه بمفهوم قرآني نختاره ثمَّ نبحث له من المصحف مجموع الآيات التي تتصل به كما هو الحال في مشاريع التفسير الموضوعي التي أطلت علينا من خلال أعمال الشيخ السبحاني، والشيخ مكارم الشيرازي، والشيخ جوادي آملي، حينما اختارت من المنهج الموضوعي خطوته الأولى -توحيد البحث حول المفهوم- وأهملت الخطوات التالية والأساس، المتمثلة بالواقع وبتجربة الفكر الإنساني[4].

---

١ -الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٩.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٢.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٢.

٤ -- كسار، جواد علي، المصدر نفسه، ص١٠٥.

المبحث الثاني

مقارنة بين التفسير التجزئي و الموضوعي

(إيجابيات وسلبيات التفسير الموضوعي)

المقارنة حينما تعقد بين شيئين، فلأجل معرفة الصائص والمميزات التي يتمتع بها كل منهما، ولقد عقد السيد الصدر، وغيره من المتخصصين، مقارنة بين المنهجين (التجزئي والموضوعي).

وقد أوجز السيد الصدر هذا الفرق بينهما في نقطتين أساسيتين بعد أن عبّر عن الطريقة التجزئيَّة بأنها كانت عاملاً في إعاقة النمو، وبأنَّ الطريقة الموضوعية تكون عاملاً في النمو والإبداع، وتوسيع نطاق حركة الاجتها ثمَّ يتم كلامه بالإجابة عن هذه التساؤلات التي طرحها، وعلى حسب رؤيته: (يجب أن تكون انطباعات أوضح وأكثر تحديداً عن هذين الاتجاهين، وإنَّما يتضح ذلك بعد أن نشرح بعض أوجه الاختلاف بين الاتجاهين : السلبية في الاتجاه التَّجزئي والايجابية في الاتجاه الموضوعي :

فيقول : إن المفسر التجزئي دوره في التفسير على الأغلب سلبي، فهو يبدأ بتناول النص القرآني المحدد - آية مثلاً- أو مقطعا قرآنياً - على ضوء ما يسعفه به اللفظ، ومع ما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة أي العملية في

طابعها العام عليه تفسير نص معين، وكأن دور النص فيها دور المتحدث، ودور المفسر هو الإصغاء والتفهم، وهذا ما نسميه بالدور السلبي[1].

وخلافاً لذلك المفسر التوحيدي والموضوعي، فإنه لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة، مركزاً نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول الموضوع من مشاكل، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول فيرى بالنسبة للباحث أن لا يتخذ من نفسه دور المستمع والمسجل للنص فحسب، بل يطرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً (يشتمل) على العديد من الأفكار والمواقف البشرية، ويصور لنا بأن المشتغل في هذا المجال يقيم مع النص القرآني حواراً على صيغة السُّؤال والجواب، فهو يسأل والقرآن يجيب[2]، إلى أن نستكشف موقف القرآن من موضوع ما.

فعمليته هي عملية حوار مع القرآن واستنطاق له كما عبر عن ذلك مستشهداً بحديث أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول :(ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلكنَّها أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتي، وَالْحَدِيثَ عَن الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)[3]، ويصف عليه السلام عملية الاستنطاق التي تكلم عنها أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله بأنَّها: عملية حوار مع القرآن الكريم.

---

١ – الصدر، محمَّد باقر، المصدرالسابق، ص٢٨.

٢ –المصدر نفسه، ص٢٩.

٣ – الرضي، الشريف، نهج البلاغة، تحقيق : محمَّد عبدة، ج٢،ص٥٤.

الاتجاه التجزئي يقدم المدلولات التفصيلية، والاتجاه الموضوعي يحاول الحصول على النظريات .

يذكر السيد الصدر في هذه الفقرة بأن التفسير الموضوعي قد تجاوز التفسير التجزئي خطوة معللاً ذلك بأن التجزئي يكتفي بإبراز المدلولات للآيات القرآنية، بينما الموضوعي يطمح ويتطلع إلى أكثر من ذلك، فهو يحاول أن يصل إلى مركب نظري قرآني، وهذا المركب نسميه بلغة اليوم (النظرية)، وطبعاً هذه النظرية نستطيع أن نستنبط على ضوئها الكثير من الآراء التي تخدم الواقع المعاصر، ثمَّ يذكر عدة أمثلة، من قبيل وصول الباحث أو المشتغل في الموضوعي إلى نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي نظرية قرآنية عن التَّاريخ عن السماوات والأرض وهكذا.[1]

وهذان الفارقان يعتبران من الفوارق الرئيسة والأساسية بين هذين المنهجين، بل هما لب الاختلاف بينهما إذا صح الكلام بذلك .

مقارنة الدكتور الخالدي:

اضافة إلى ما تقدم من الفوارق التي ذكرها السيد الشهيد الصدر، فالدكتور الخالدي يذكر لنا فوارق أخرى لهذين المنهجين، رأينا من المناسب ذكرها، وإن كان البعض منها لا يبتعد كثيراً في منحاه عما ذكره السيد الصدر، بل قد يكون اتكأ عليها في بعض الأحيان وتزود منها، ويمكن ذكرها بما يلي :

---

١ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٣٤.

المفسر في التفسير الموضعي التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها، واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية .

بينما في التفسير الموضوعي يجمع بين هذه المدلولات التفصيلية، وينسق بينها ويصل بين جزئياتها المفردة بين الكل العام الجامع لها، ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة .

المفسر في التفسير الموضعي يقدم للمسلمين علماً تفسيرياً نظرياً، ومعلومات تفسيرية ثقافية، ومجالات علمية متنوعة، في العقيدة والحديث واللغة والبلاغة وغير ذلك .

- بينما المفسر في التفسير الموضوعي يقدم للمسلمين فكراً وحضارة، وحلولاً قرآنية لمشكلات واقعية، وحقائق قرآنية عن قضايا اجتماعية وحضارية، فالعلاج والشفاء في التفسير الموضوعي أهم وأدق وأشمل .

إذا كان التفسير الموضعي التحليلي يخدم الآية، والجملة، والمفردة القرآنية؛ فإن التفسير الموضوعي يخدم مهمة القرآن، ورسالته، ووظيفته في حياة المسلمين، فهو على حد تعبيره يزيد تفاعل المسلمين مع القرآن، وقناعتهم، ودعوتهم إليه .

ويضيف الخالدي نقطة أخرى لا تكاد تفترق عن إحدى النقطتين اللتين ذكرهما السيد الصدر، إلا في بعض التعبير حيث يقول : المفسر في التفسير الموضعي ينظر في القرآن وسوره وآياته، يبدأ منه، ويبقى معه وينتهي به، يجلس أمام القرآن، ويتلقى منه، ويستمع إليه، ويسجل ما يتلقاه ويأخذ منه.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي يبدأ من الواقع الذي يعيش فيه، ويدرك حاجات الأمة والإنسانية في عصره على مختلف جوانبها، حاجاتها الفكرية، والنظرية، والعلميَّة، والسلوكية، والحضارية والسياسية، والاقتصادية، وغير ذلك[1].

١ – الخالدي، صلاح عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٢٤.

المبحث الثالث: شروط التفسير الموضوعي

دأب المشتغلون في التفسير وعلومه على استعراض طائفة من المؤهلات التي ينبغي أن يمتلكها المرء حتّى يكون مؤهلاً لفهم النص القرآني، وبيان معانيه وأحكامه .

وهذا الأمر ليس حكراً على النص القرآني، وإنَّما يطلبه كل فن من الفنون، وكل علم من العلوم ، كعلم الحديث، والأصول، والفقه، وغيرها من العلوم، فالذي يريد أن يخوض في أي علم منها لابد من امتلاكه لهذه المؤهلات والقدرات التي تعطيه الاستطاعة للخوض فيه .

ولقد وضع أهل هذا العلم شروطاً لمن يريد التبحر فيه، ولمن تكون عنده الرغبة والإرادة للخوض في كتاب الله تعالى ، ويمكن تلخيصها بما يلي :

إن من أوليات شروط المفسّر هو أن يكون ملتزماً في أحسن طرق التفسير ، والتي لخصها السيوطي في الإتقان حيث قال: (قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أُجمِلَ منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر منه، وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أُجمل في القرآن في موضع وفُسّر في موضع آخر منه، وأشار إلى أمثلة منه في نوع المجمل، فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقد قال الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَّابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ

النَّاس بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ في آيات أخر، وقال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، عني السنة، فإن لم يجده من السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التَّام والعلم الصَّحيح والعمل الصالح. وقد روى الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الَّذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع)[1].

٢- فإضافة إلى ما تقدم، هناك مجموعة من الشروط التي أطلق عليها البعض من أهل الاختصاص بالعلوم المساعدة للمفسر في التفسير، والبعض أطلق عليها بالأدوات التي يجب أن يملكها المفسر حتّى تمكنه من صنعة التفسير، وهي :

الأول – علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"، ثم إنه لا بد من التوسع والتبحر في ذلك، لأن اليسير لا يكفي، إذ ربما كان اللفظ مشتركاً، والمفسِّر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد.

الثاني – علم النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره. أخرج أبو عبيدة عن الحسن أنه سُئِل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حُسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها.

---

١ – السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٧٥.

الثالث – علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: (ومَن فاته المعظم، لأنَّ "وجد" مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها)، وحكى السيوطي عن الزمخشرى أنه قال: (من بدع التَّفاسير قول مَن قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ جمع "أُمّ"، وأن الناس يُدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فإن "أُمَاً" لا تُجمع على إمام)[1].

الرابع – الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح؟

الخامس والسادس والسابع – علوم البلاغة الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع": فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدَّلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرف به وجوه تحسين الكلام.. وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسِّر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بهذه العلوم.

الثامن: – علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع – علم أصول الدين: وهو علم الكلام، وبه يستطيع المفسّر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحَل، وأن ينظر في الآيات

---

[1] – المصدر.

المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسِّر في ورطات.

العاشر – علم أصول الفقه: إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم.

الحادي عشر – علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النّزول يعين على فهم المراد من الآية.

الثاني عشر – علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

الثالث عشر – علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكوم من غيره. ومَن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

الرابع عشر – الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمل والمبهم ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

الخامس عشر – علم الموهبة: وهو علم يُورثه الله تعالى – لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1].. وبقوله ﷺ: "مَن عمل بما علم وَرَّثه اللهُ علم ما لا يعلم".

قال السيوطي بعد أن عَدَّ علم الموهبة من العلوم التي لا بد منها للمفسِّر: ويدعي الذهبي بأنه ذكرها بشكل مفصل دون غيره من العلماء الَّذي ذكر بعضاً، وأعرض عن بعض ،حيث يقول : (هذه هي العلوم التي اعتبرها العلماء

---

١ – البقرة :٢٨٢.

أدوات لفهم كتاب الله تعالى، وقد ذكرناها مسهبة مفصَّلة، وإن كان بعض العلماء ذكر بعضاً وأعرض عن بعض آخر)[1].

وهذه الشروط التي تقدمت تعتبر من الشروط العامة التي يجب على كل مفسر الالتزام بها، سواء كانت على مستوى التفسير (التجزئي أو الموضوعي)، ولكنَّ هناك شروطاً ذكرها الشهيد الصدر تختص بالتَّفسير الموضوعي، ويوقف سماحته نجاح مهمة المفسر على المعرفة بهذه الشروط، التي يمكن تلخيصها بما يلي :

أولاً – الذهنية الإسلامية:

ومعنى الذهنية الإسلامية التي عناها : هي عبارة عن قيام بحوث المفسّر دائماً على أساس أن القرآن كتاب الهي : أُنزل للهداية، وبناء الإنسانية بأفضل طريقة ممكنة. ولا يخضع للعوامل والظروف والمؤثرات التي يخضع لها النتاج البشري في مختلف حقول المعرفة الإنسانية. فان هذا الأساس هو الأساس الوحيد لإمكان فهم القرآن وتفسير ظواهره بطريقة صحيحة. ثم يستطرد قائلاً:

وإما حين يستعمل المفسر في دراسة القرآن، نفس المقاييس التي يدرس على ضوئها أي كتاب،أو أي دعوة أُخرى، أو أي نتاج بشري، فهو يقع نتيجة لذلك في أخطاء كبيرة، واستنتاجات خاطئة، كما يتفق ذلك لبحوث المستشرقين، الذين يدرسون القرآن على ضوء المقاييس التي يدرسون بها

---

١ – الذهبي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٦.

أي ظاهرة من ظواهر المجتمع التي تنشأ في داخله وترتبط بمؤثراته وعوامله وتتكيف بموجبها[1].

ويذكر السيد الصدر ثلاثة أمثلة لتأييد مدعاه المتقدم في الفقرة السابقة، نذكر منها :

في إقرار القرآن لعدد من الأعراف التي كانت سائدة بين العرب قبل بزوغ نور الرسالة الجديدة، قد يخيل لمن ينطلق من قاعدة خاطئة، ويحاول أن يفسر القرآن بمقاييس غيره من منتجات الأرض أن ذلك الإقرار يعبر عن تأثر القرآن بالمجتمع الذي وجد فيه.

ولكنَّ هذا التفسير لا معنى له حين ننطلق من القاعدة الصحيحة، ونفهم القرآن الكريم بوصفه كتاباً إلهياً للهداية وبناء الإنسانية بالصورة التي تعيد إليها فطرتها النقية وتوجهها نحو أهدافها الحقيقيَّة الكبرى.

بل نستطيع على أساس هذه القاعدة الصحيحة أن نفهم ذلك الإقرار من القرآن فهماً صحيحاً، إذ ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله لأن الإنسانية مهما تفسد وتنحرف عن طريق الفطرة والأهداف الحقيقيَّة الكبرى فهي لا تفسد كلها.

بل تبقى في العادة جوانب صالحة في حياة الإنسانية تمثل فطرة الإنسان أو تجاربه الخيّرة، فمن الطبيعي للقرآن أن يقر بعض الجوانب ويشجب أكثر الجوانب في عملية التغيير العظيم التي مارسها، وحتّى هذا الذي أقره وضعه في إطاره الخاص، وربطه بأصوله وقطع صلته بالجاهلية وجذورها.

---

١ -الصَّدر ، محمَّد باقر، المصدر السابق ، ص٣٠٩.

ب – وفي تدرج القرآن الكريم في التشريع، قد يخيل لمن ينطلق من القاعدة الخاطئة التي تقول ببشرية القرآن أنه يرتبط بطبيعة عملية البناء التي يمارسها القرآن لأن القرآن لم ينزل ليكون كتاباً علمياً يدرسه العلماء، وإنما نزل لتغيير الإنسانية وبنائها من جديد على أفضل الأسس وعملية التغيير تتطلب التدرج.[1]

ثانياً – الاندماج الكلي في القرآن

أو ما يعبر عنها السيد الصدر بالذهنية القرآنية بديلاً عن الذّهنية المذهبية، ويقصد بها : الاندماج في القرآن، أي أن يدرس النص القرآني، ويستوحي معناه دون تقييد مسبق، باتجاه معين غير مستوحى من القرآن نفسه، كما يصنع كثير من أصحاب المذاهب الذين يحاولون في تفسيرهم إخضاع النص القرآني لعقيدتهم المذهبية، فلا يدرسون النص ليكتشفوا اتجاهه. بل يفرضون عليه اتجاههم المذهبي ويحاولون فهمه دائماً ضمن إطارهم العقائدي الخاص. وهذا ليس تفسيراً، وإنما هو محاولة تبرير للمذهب وتوفيق بينه وبين النص القرآني، ولهذا كان من أهم الشروط في المفسر أن يكون بدرجة من التحرر الفكري تتيح له الاندماج بالقرآن، وجعله قاعدة لتكوين أي إطار مذهبي بدلاً عن جعل الاتجاه المذهبي المحدد قاعدة لفهم القرآن.

ويرى السيد الشهيد ظاهرة المذهبية في التفسير، شيئاً مقيتاً، بل هي ليست من التفسير في شيء، ولهذا جعل الاندماج في القرآن من أهم شروط التفسير

---

١ – المصدر نفسه، ص ٣١٠.

ثالثاً: المنهجية في التفسير

أضاف السيد الشهيد شرطاً ثالثاً تمثل في أنه لا بد للمفسر من منهج عام للتفسير، يحدد فيه عن اجتهاد علمي طريقته في التفسير، ووسائل الإثبات التي يستعملها، ومدى اعتماده على ظهور اللفظ وعلى السنة، وعلى أخبار الآحاد، وعلى القرائن العقلية في تفسير النص القرآني. لأن في كل واحد من هذه الأمور خلافاً علمياً، ووجهات نظر عديدة، فلا يمكن ممارسة التفسير دون درس تلك الخلافات درساً دقيقاً، والخروج من دراستنا بوجهات نظر معينة تؤلف المنهج العام للمفسر، الذي يسير عليه في تفسيره. ولما كانت تلك الخلافات تتصل بجوانب من الأصول والكلام والرجال وغيرها كان لزاماً على المفسر لدى وضعه للمنهج ودراسته لتلك الخلافات أن يكون ملمّاً إلماماً كافياً بتلك العلوم[1].

(منهجية البحث في التفسير الموضوعي)

لما كان لهذا البحث فائدة لا يمكن تغافلها إرتأينا أن نضيفه كملحق للمباحث المتقدمة في هذا الفصل. ولمَّا كان القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولمَّا له من عظمة عند الناس عامَّة

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٣١٢.

والمسلمين خاصة، فلا بد أن يتبع الباحث فيه منهجية منضبطة وواضحة في التعامل معه، وظهرت العديد من المناهج كما مر للتعامل مع هذا السفر الخالد، وكل صاحب منهج ينطلق من المنهج الَّذي يرتكز عليه، وينتمي إليه.

وتماشياً مع ما تقدم فإن المنهج الموضوعي يعتبر أحد هذه المناهج، ولا بد له من ضوابط يستخدمها، ويرتكز عليها أثناء بحثه في كتاب الله تعالى، ولقد ذكر عدد من الباحثين عدة ضوابط أو خطوات يمكن الإشارة إليها، أهمها:

١- استقراء النصوص القرآنية:

إن القيام بجمع الآيات القرآنية في موضوع ما يتطلب عملية استقرائية لنصوص القرآن الكريم لحصر الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، والتحقق من أن هذه الآيات تتعلق بذلك الموضوع وتتصل به أي اتصال.

٢- ضرورة النظر في المكي والمدني:

فإن هذا الأمر يعد غاية في الضرورة ،لأهمية التدرج القرآني ومساهمته في معالجة بعض الموضوعات الخاصة التي لها تعلق بالأحكام أو الحلال والحرام فالترتيب على نطاق دراسة آيات الأحكام، وما تدرج الشارع في الأمر به، أو النهي عنه لا تصح الدراسة بدونه.

٣- ملاحظة البعد التاريخي والبيئي:

وتعتبر هذه الخطوة من الخطوات المهمة في القصص القرآني خاصة، فدراسة قصة آدم عليه السلام مثلاً ستكون مختلفة عن دراسة قصة نوح عليه السلام، من

حيث واقع الرسالة السماوية في كل العصرين، ومواكبتها لحركة المجتمع في كل عصر من حيث الأحوال والأوضاع التي كانت قائمة فيها[1].

٤- تصنيف الموضوع:

تصنيف الموضوع تصنيفاً علمياً دقيقاً قائماً ـ هذا التصنيف ـ على منهجية خاصة وليس بالضرورة أن يكون هذا المنهج الذي يستخدمه القرآن واحداً في عرض موضوعاته ولكنَّ ذلك يتبع طبيعة الموضوع وقضاياه وزمن معالجة القرآن له ويفرض على الباحث في بعض الموضوعات التي يتناولها بالدراسة أن يرتب عناصرها حسب نزولها التاريخي التدريجي وهذا خاص في بعض موضوعات الأحكام كتحريم الربا والخمر والتدرج في تشريع الجهاد.

٥- الالتفات إلى الواقع أثناء التفسير :

وهذا الواقع هو واقع تنزيل القرآن الكريم وما واكبه من أحوال وأوضاع كان القرآن شاهداً عليها أيام نزوله، لأن القرآن الكريم يبني معالجته للواقع البشري بمنهجية تتميز بأسس عامة وأطر ثابتة ويترك للعقل البشري السير ضمن تلك الأطروحة، ومحاولة الوصول إلى موقف أو حقيقة بتفهم ظروف وأحوال وبيئة عصره والتطلع إلى واقع عصره محدثاً الانطلاقتين اللتين قررناهما سابقاً، انطلاقة من الواقع إلى القرآن وانطلاقة من القرآن إلى الواقع، لتتم عملية التخلية والتحلية في أوسع معانيها وآفاقها على مستوى الفرد والأمة.

٦- اسم الموضوع

---

١ - الدغامين، زياد خليل محمَّد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص٣٩-٤١.

ويكون اسم الموضوع مستنبطاً من وحي القرآن الكريم أو مضافاً إليه -قدر المستطاع- كأن نقول العدل في القرآن، أو حقيقة العدل كما يصورها القرآن[1].

أهميّة التفسير الموضوعي وفوائده:

من المعروف أن السبب الذي دفع المشتغلين في حقل التفسير الموضوعي هو الأهمية الفائقة لهذا التفسير وما به من فائدة للباحثين والمفسرين .

ولا تخفى فوائد التفسير الموضوعي التي أصبحت واضحة من خلال البحث المتقدم، والتي ذكرها أصحاب الاختصاص، ومن ذلك ما ذكره السيد الشَّهيد: الاستجابة لمواضيع الحياة في كل ميدان ومتطلباتها ، واستيعاب المتغيرات التي تطرأ على مسارها .

صوغ الموقف النظري للقرآن ومن ثمّ للإسلام إزاء مختلف موضوعات الحياة والكون مما تتطلبه حركة الإسلام في الدعوة وفي التطبيق وفي مواجهة الفكر الآخر.

يفتح الاتجاه الموضوعي الآفاق واسعة، أمام الفكر القرآني ويسمح له بالنمو والإبداع والاجتهاد، واستكناه ذخائر القرآن، ومن ثم ينقذ حركة التفسير من الحالة التكرارية التي هيمنت عليها خلال قرون .

---

١ - الدغامين، زياد خليل، المصدر السابق، ص٤٤. االعمري، أحمد جمال، المصدر السابق، ص٧٤ .

يتحول موقع المفسر والباحث في الاتجاه من الدور السلبي – في التجزئي – إلى الدور الايجابي –في الموضوعي– بعملية الاستنطاق التي يمارسها مع النص القرآني.

يوحد هذا الاتجاه بين التجربة البشرية والقرآن، دونما تحميل للواقع على النص، فيحل إشكالية الأصالة والمعاصرة إذ تبقى المعرفة القرآنية أصيلة وعصرية على الدوام لأنها تجمع بين النص والواقع فينتج كل عصر المعرفة القرآنية التي يحتاج إليها في عصره.

يكون هذا الاتجاه باكتشافه للنظريات القرآنية، وصياغته لها على ضوء العلاقة مع الواقع أقدر على تمكين من المسلمين من مواجهة سيل النَّظريات الغربية، وما تنتجه البشرية من معارف وتقديمها بتحديد الموقف المناسب إزاءها سلباً وإيجابا ورفضاً وقبولاً[1].

ما ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي :

وقد أشار الشيخ إلى هذه الفوائد الأربعة بشكل مجمل وكالآتي :

أ ـ إزالة الإشكالات التي تبرز في بعض الآيات للوهلة الأولى، وحل المتشابه في القرآن.

ب – الاطلاع على ظروف ومزايا وأسباب ونتائج المواضيع والأمور المختلفة المطروحة في القرآن الكريم.

---

١ – الصد، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٤٣-٤٢.

ت - الحصول على تفسير جامع بشأن مواضيع مثل: (التوحيد)و(معرفة الله)و(المعاد)و(العبادات) و(الجهاد) ومواضيع مهمة أُخرى.

ث- الحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن من خلال إلحاق الآيات ببعضها[1].

١ - شيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ص١١-١٢.

الفصل الرابع

المبحث الأول : السنن التاريخية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول : السنن التاريخية في القرآن الكريم.

ويشتمل هذا المبحث على عدة فقرات:

١- التعريف بالسنن (لغة ، اصطلاحاً، لفظها في القرآن الكريم).

٢- هل للقرآن عطاءات في مجال سنن التاريخ ؟

٣- أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ .

٤- الاتجاه القرآني الموضوعي والاتجاه اللاهوتي الغيبي .

٥- خصائص السنة التاريخية .

٦- مجال السنن على الساحة التاريخية.

٧ - خصائص الظواهر التاريخية .

٨- أشكال السنن التاريخية في القرآن الكريم.

التعريف بالسنن وموارد لفظها في القرآن الكريم :

ألف- تعريف السنة(لغة):

والسنة في اللغة جمعها سنن. السنةُ الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن، وهو الطريق، والسنة الطبيعة، والسنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة. قال خالد بن عُتْبة الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سِيرةٍ أَنتَ سِرْتَها فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسِيرُها[1].

كما تعني السِنة بكسر السين دون تشديدها – الغفلة النعاس كما في قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[2]، وسنة الله: حكمه في خليقته، والسنة: الصورة يقال هو أشبه شيء به سنة[3].

ويقول ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: الأصل في هذا اللفظ (السنة) الطريقة، والسيرة، ويستدل على ذلك بحديث المجوس عن

---

١ – ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج١٣ ، ٢٢٥.

٢ – البقرة:٢٥٥.

٣ – إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمَّد النجار، المعجم الوسيط،ج١ ،ص٤٧٣ .

النبيﷺ «سنوا بهم سنة أهل الكتَّاب» أي خذهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية منهم أجرهم[1].

ويذكر الراغب في مفرداته[2]: بأنَّ السُّنن جمع وسنة ألوجه طريقته وسنة الله قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته، نحو قوله:﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[3].

ب- السنة اصطلاحاً:

والمقصود بها: دراسة السنن كقوانين، وأحكام إلهية جارية ثابتة مطردة تتحكم في حركة التَّاريخ، وتبدل الحضارات بين الأمم[4]، وبالمعنى الذي تقدم يمكن تقسيم السنة إلى قسمين:

السنة الإجبارية: وهي التي تجري على كل الكائنات الحية، بما فيها الإنسان كالولادة، الموت، الحياة، وكل ما في علم الغيب بما اختصت به القدرة، والمشيئة الإلهية، من الأمور التي لا دخل للإنسان بها.

السنة الاختيارية: وهي القائمة على مستوى إرادة الإنسان الداخلة في القدرة الإنسانية، وما يمكن أن يناله الإنسان آو يسخره في الحياة باستخدام هذه القدرة العقلية، وغيرها مما أدنى من الحواس الأخرى، كالسمع والبصر التي زود بها هذا الإنسان لغرض تحقيق غاية خلقه، وسبب وجوده في استعمار

---

١ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٣١٣.

٢ - الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ، ص٤٢٩.

٣ - الفتح:٢٣.

٤ - هيشور، محمَّد، سنن القرآن وقيام الحضارات وسقوطها، ص١٢.

الأرض، والاستخلاف فيها، وعلى قدر اتساع هذه الدائرة وتفاوتها بين بني الإنسان يكون الإنسان مسؤولاً عن نتائج أعماله وتصرفاته[1].

ج- لفظ السنة في القرآن الكريم:

وردت لفظة السنة بتصريفات مختلفة:(سنة، سنن، سنتنا) في عدة موارد في القرآن الكريم، بمعنى الطريقة الجارية، ويغلب عليها الإشارة إلى ترتب العقاب على ممارسة بعض المعاصي، وكذلك الإشارة إلى وجود قوانين تتحكم بحركة المجتمعات عبر التاريخ كقوة الأمم المؤمنة بعقيدتها، وضعف المشككين بها، وأن الاتحاد والاجتماع من عوامل البقاء، والتشتت من عوامل الاندحار وغير ذلك، وهذه الطرق والقوانين تجري في جميع الأمم الماضية منها والحاضرة، ويمكن أن نوضح البعض من معانيها، وبشكل مقتضب كما ورد في البعض من التَّفاسير :

الآية الأولى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين﴾[2].

أطلق الوعد في الآية بالانتهاء عن المعصية، لأن الانتهاء عنها لا يكون مع الإصرار عليها لأن الإصرار معصية. وقوله «أن يعودوا فقد مضت سنة الأولين» معناه وان يعودوا، ويرجعوا إلى المعصية فقد مضت سنة الأولين في تعجيل

---

١ - ابن الوزير، إبراهيم، دراسة للسنن الإلهية المعاصر، ص٧، نقلاً عن هيشور، ص١٢.

٢ - الأنفال :٣٨.

العقاب لهم في الدنيا بعذاب الاستئصال وما جرى مجراه من الأسر والقتل يوم بدر وبالنصر من الله، من قول الحسن ومجاهد والسدي[1].

الآية الثَّانية : ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[2].

(وقد خلت سنة الأولين) أي : طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسلهم، وهو وعيد[3].

الآية الثَّالثة:﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[4].

و هذه السنة وهي إهلاك المشركين الذين أخرجوا رسولهم من بلادهم وطردوه من بينهم، سنة لله سبحانه، وإنما نسبها إلى رسله لأنها مسنونة لأجلهم بدليل قوله بعد: "و لا تجد لسنتنا تحويلا"[5]، أي تغييراً

الآية الرابعة: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾[6].

أن تأتيهم السنة الجارية في أمم الأولين وهي عذاب الاستئصال،وقوله:"أو يأتيهم العذاب قبلا" عطف على سابقه أي أو طلب أن يأتيهم العذاب مقابلة و عيانا ولا ينفعهم الإيمان حينئذ، لأنه إيمان بعد مشاهدة البأس الإلهي قال

---

١ – الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص١١٥.

٢ – الحجر: ١٣.

٣ – الطبرسي، الفضل بن الحسن، جامع الجوامع، ج٢ ،ص٢٩٧.

٤ – الإسراء :٧٧.

٥ – الطباطبائي، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٩٣.

٦ – الكهف: ٥٥.

تعالى:﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنّةَ اللّهِ الّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[1].

فمحصل المعنى أن الناس لا يطلبون إيمانا ينفعهم والَّذي يريدونه أن يأخذهم عذاب الاستئصال على سنة الأولين فيهلكوا، ولا يؤمنوا أو يقابلهم العذاب عيانا فيؤمنوا اضطرارا فلا ينفعهم الإيمان[2].

الآية الخامسة: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾[3].

أي كسنة الله في الأنبياء الماضين، و طريقته، وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن أممهم بما أحل الله سبحانه لهم من ملذاتهم، و قيل: في كثرة الأزواج كما فعله داود و سليمان عليهما السلام، وكان لداود مائة امرأة و لسليمان ثلاثمائة امرأة، وسبعمائة سرية[4].

الآية السادسة:﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[5].

---

١ – المؤمن:٨٥.

٢ – الطباطبائي، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣ ،ص١٧٥.

٣ – الأحزاب: ٣٨.

٤ – الطبرسي، الفضل بن الحسن، المصدر السابق،ج٨ص١٤٣، والسرية: والسرية التي تنفذ إلى بلاد العدو وأصلها من السرى وهو سير الليل وكانت تخفي خروجها لئلا ينتشر الخبر به وتكتب به العيون فتخرج ليلا فيقال سرت سرية أي: خرجت وسارت ليلا وهي فعيلة بمعنى فاعلة. الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب الحديث لابن قتيبة، ج١، ص٤٥.

٥ – الأحزاب:٦٢.

الآية السابعة:﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[1]، والسنة الطريقة في تدبير الحكم، وسنة رسول الله ﷺ طريقته، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَحْوِيلاً﴾ أي تحويلاً و تغييراً، أي لا يتهيأ لأحد تغييرها و لا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الَّذي لا يتهيأ لأحد منعه مما أراد فعله[2].

الآية الثامنة:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3] أي سنن من الله تعالى في الأمم السالفة كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستئصال، والاجتياح، كعاد، وثمود، وقوم صالح، وقوم لوط الذين أهلكهم الله بأنواع العذاب من الاستئصال فبقيت لهم آثار في الديار فيها أعظم الاعتبار والاتعاظ -على قول الحسن، وابن إسحاق- فأمر الله أن يسيروا في الأرض، ويتعرفوا أخبارهم، وما نزل بهم ليتعظوا بذلك، وينتهوا عن مثل ما فعلوه[4].

وهذا يعني أن لله في الأُمم سنناً لا تختص بهم، بل هي قوانين وسنن عامة في الحياة تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء.

---

١ - الفتح:٢.

٢ - الطبرسي، الفضل بن الحسن، المصدر السابق، ج ٨، ص١٥٨.

٣ - آل عمران:١٣٧ .

٤ - الطوسي، محمَّد بن الحسن، المصدر السابق، ج٢، ص٥٩٦.

ولهذا نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى السير في الأرض، والنظر بإمعان وتدبر في آثار الأُمم والشعوب التي سادت ثمّ بادت إذ يقول:﴿فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

الآية التاسعة:﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

أي أنّ الله يبيّن لكم الحقائق بواسطة هذه القوانين، ويهديكم إلى ما فيه مصالحكم، مع العلم بأن هذه الأحكام لا تختص بكم، فقد سار عليها من سبقكم من أهل الحق من الأمم الصالحة، هذا مضافاً إلى أنّ الله تعالى يريد أن يغفر لكم ويعيد عليكم نعمه التي قطعت عنكم بسبب انحرافكم عن جادة الحقّ، وكل هذا إنّما يكون إذا عُدتم عن طريق الانحراف الذي سلكتموه في عهد الجاهلية وقبل الإسلام[3].

الآية العاشرة: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[4].

التحويل نقل الشيء من حال إلى حال، وقوله: "سنة" أي كسنة من قد أرسلنا و هو متعلق بقوله: "لا يلبثون" أي لا يلبثون بعدك إلا قليلاً كسنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا. وهذه السنة وهي إهلاك المشركين الَّذين أخرجوا

---

١ – شيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ج٢، ص٧٠٤.

٢ – النساء:٢٦ .

٣ – شيرازي، ناصر مكارم، المصدر نفسه، ج ٣، ص١٩٨.

٤ – الإسراء:٧٧.

رسولهم من بلادهم و طردوه من بينهم سنة لله سبحانه، و إنما نسبها إلى رسله لأنها مسنونة لأجلهم بدليل قوله بعد: ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[1].

وهكذا جلت استعمالات كلمة سنة في القرآن معنى واحداً، وهو(الطريقة والقانون)، وان تشعبت تعريفاتها من حيث الإفراد والجمع، والإسناد إلى ضمير المتكلم وهو لفظ الجلالة حيناً، والإضافة إليه سبحانه وإلى الأمم الخالية من الأولين أحياناً أخرى .

٢- هل للقرآن عطاءات في مجال سنن التاريخ؟

بعد أن ذكر الشهيد الصدر المبررات الموضوعية والفكرية لإيثار التفسير الموضوعي على التجزئي، راح يذكر مبرراً عملياً لهذا الإيثار، هو أن شوط التفسير التقليدي شوط طويل جداً، لأنه يبدأ من الفاتحة وينتهي بالناس، وهذا الشوط الطويل بحاجة من أجل إكماله إلى فترة زمنية طويلة أيضاً، وعلل الشَّهيد الصدر اختياره لموضوعات متعددة من القرآن الكريم، دون القرآن كله، والتي حاول أن تكون مضغوطة، حتّى يستوعب اكبر عدد منها، والموضوع الأول الَّذي تم اختياره من قبله هو موضوع (سنن التاريخ في القرآن الكريم)، ثم أثار عدة تساؤلات على ذلك يمكن إيجازها بما يلي :

١- هل للتاريخ سنن وقوانين في مفهوم القرآن الكريم ؟ تتحكم في سيره وحركة تطوره.

---

١ - الطباطبائي، محمَّد حسين، المصدر السابق، ج١٣، ص٩٣.

٢- ما هي هذه السنن التي تتحكم في التَّاريخ البشري ؟ وكيف بدأ التَّاريخ البشري ؟ وكيف نما وتطور؟

٣- ما هي هذه العوامل الأساسية في نظرية التاريخ؟ وما هو دور الإنسان فيها ؟ وما موقع السماء والنبوة على الساحة البشرية ؟.هذه التساؤلات التي تم طرحها وقعت تحت عنوان (السنن) .

إضافة إلى ما تقدم يذكر السيد الشهيد بأن الموضوع وإن بحث سابقاً، ولكنَّ ذلك كان من زوايا مختلفة كقصص الأنبياء التي استعرضوها من ناحية تاريخية وملأ فراغاتها بالروايات والأحاديث، أو بما هو المأثور عن أديان سابقة كونوا منها سجلات ذات طابع تاريخي لتنظيم هذه المادة القرآنية على حد تعبيره .ثم يذكر أيضاً أنها بحثت من زاوية أخرى غير تاريخية ، بل هي من زاوية منهج القصة في القرآن ، وما مدى ما يتمتع به هذا المنهج من أصالة وقوة وإبداع[١].

ثم بعد ذلك يفصح الشهيد الصدر عن الزواية التي يريد أن يتناول من خلالها هذه المادة القرآنية وهي التي يتبين منها:(مقدار ما تلقي هذه المادة من أضواء على سنن التَّاريخ، على تلك الضوابط والقوانين والنواميس التي تتحكم في عملية التاريخ)[٢].

بعد طرحه السؤال المتقدم في بحوثه القرآنية والذي كان : هل للقرآن عطاءات في مجال سنن التاريخ؟ لقد أجاب على هذا السؤال بما يلي :

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص٤٧ .

٢ - المصدر نفسه، ص٤٧.

قد يتوهم البعض، أننا لا ينبغي ان نترقب من القرآن أن ينزل كتاب اكتشاف، بل كتاب هداية، نزل لكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور[1].

إذن هو كتاب هداية وتغيير، وليس كتاباً يكتشف لنا الحقائق والمبادئ العامة للعلوم الأخرى.

على الرغم من أن القرآن الكريم كانت له إشارات في ذلك، ولكنَّها بالحدود التي تؤكد العدل الإلهي للقرآن (أولاً)، ولتثبيت العمق الرباني لهذا الكتاب الذي أحاط بالماضي والحاضر والمستقبل (ثانياً)، فهو لم يطرح نفسه بديلاً عن قدرة الإنسان الخلاقة، وإنَّما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للإنسان مفجرة لطاقاته، ومحركة له في المسار الصحيح.

ولابد من ملاحظة فارق جوهري بين الساحة التاريخية ، وبقية الساحات الكونية، ويتمثل هذا الفارق بكون الساحة التاريخية مرتبطة لوظيفة القرآن (ككتاب هداية) خلافاً لبقية الساحات الكونية والميادين الأخرى للمعرفة البشرية كتاب هداية وعملية تغيير (إخراج الناس من الظلمات إلى النور) .

وإن عملية التغيير التي تقدمت لها جانبان :

الجانب الأول : جانب المحتوى والمضمون، وهذا الجانب من عملية التغيير جانب رباني سماوي وتحدت بنفس نزولها عليه كل سنن التاريخ المادية، لأن هذه الشريعة كانت أكبر من الجو الَّذي نزلت عليه، ومن البيئة التي حلت

---

١ – المصدر نفسه، ص٤٧.

فيها[1]، وحيث إن جانب المحتوى والمضمون (المناهج والتشريعات) -رباني- من حيث صلته بالوحي، وبهذا فهو فوق التاريخ.

٢- الجانب الثاني : العملية التغييرية التي مارسها النبي عليه السلام وأصحابه الأطهار، بوصفها تجسيداً بشرياً على الساحة التاريخية مترابطاً مع الجماعات التي تكتنف هذا التجسيد، تكون العملية (عملية) بشرية حيث تتحكم في سنن التاريخ بأفراد المجتمع كما تتحكم في بقية الجماعات.

أي ان السنة في جانبها البشري عمل تاريخي تحكمه سنن التاريخ، ولهذا نرى أن القرآن حين يتحدث عن الزاوية الثَّانية من عملية التغيير يتحدث عن أناس، ولا يتحدث عن رسالة السماء، بل يتحدث عن بشر تتحكم فيهم القوانين التي تتحكم في الآخرين .

ومثال ذلك ، حينما أراد أن يتحدث عن انكسار المسلمين في غزوة أحد بعد أن أحرزوا ذلك الانتصار الحاسم في غزوة بدر، تحدث القرآن الكريم عن هذه الخسارة .﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2] بيد أن النصر يتحقق حينما تتحقق شروطه الموضوعية بحسب منطق التاريخ والتي وضعها الله سبحانه وتعالى كونياً ،لا تشريعياً[3].

٣-أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ

١- الصدر، محمَّد باقر، المصدرالسابق، ص٥٠.

٢ - آل عمران :١٤٠.

٣ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٥١.

من المعروف بأن الأسلوب في اللغة هو الطريق ، وقد استخدم القرآن عدة أساليب وطرق لبيان سنن التاريخ، هذه الأساليب تم استخلاصها من عدة آيات .

الأسلوب الأول: الأسلوب الذي يبين الفكرة التي تتحدث عن السنن، والضوابط التي تتحكم في حركة التاريخ .

فحينما نلاحظ الآيات التي تتحدث عن الأجل الجماعي[1]، والآيات التي تتحدث عن عموم العذاب الدنيوي الذي يصيب الأمة بعد انحرافها[2]، نستطيع استخلاص الأسلوب الذي يبين الفكرة التي تتحدث عن السنن والضوابط التي تتحكم في حركة التاريخ.

فالقرآن الكريم يوضح لنا فكرة هي: إن التاريخ له سنن تتحكم به وراء السنن الشخصية التي تتحكم في الأفراد بهوياتهم الشخصية[3].

ويصور القرآن أيضاً مسألة ما، وهي: إن الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة، ففيهم الأنبياء والأئمة والعدول من المؤمنين فهل يشملهم الهلاك أيضاً إنها تتحدث عن عقاب دنيوي لا أخروي إذاً هذا هو منطق سنة التاريخ أن العذاب عندما يأتي في الدنيا على مجتمع لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء

١- هناك عدة آيات تتحدث عن ألآجل الجماعي ذُكرت في القرآن الكريم من أمثال الآية:٣٤،و: ١٨٥من سورة الأعراف والآية : ٥ من سورة الحجر.

٢ – وكذلك هناك العديد من الآيات تحدثت عن فكرة عموم العذاب الدنيوي نتيجة انحراف الأمة في الآية ٦١ من سورة النحل او غيرها .

٣ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٥٦.

مجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم في آية أخرى:﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1].

إنها تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه أمة عن طريق الظلم والطغيان، متضحاً ذلك في أكثر من مثال، منها :

١- المثال الأول : ((تيه بني إسرائيل)).

٢- المثال الثَّاني : ((خلافة يزيد بن معاوية)).

فتيه بني إسرائيل لم يختص بالظالمين منهم وإنَّما شمل موسى عليه السلام، وأما خلافة يزيد بن معاوية، وحينما أصبح خليفة يتحكم بأموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم وعقائدهم، فوقت نزول البلاء لم يختص بالظالمين من المجتمع الإسلامي فحسب، بل شمل الحسين عليه السلام حتّى قُتل بتلك القتلة الفظيعة هو وأصحابه وأهل بيته[2].

هذا هو منطق سنة التاريخ، ان العذاب عندما يأتي في الدنيا على مجتمع لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء مجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم في آية أخرى:﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

الأسلوب الثاني: بيان السُّنن من خلال المصاديق :

---

١ - الأنفال : ٢٥.

٢ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٥٨.

٣ -الأنفال: ٢١.

وهذا الأسلوب الآخر الَّذي اعتمد عليه السَّيد الصَّدر، هو: تبين السُّنن من خلال مصاديق متعددة في القرآن الكريم متمثلة في : ربط تجربة الحاضر بالماضي. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حتّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.[1] حيث تثبت الآية قلب رسول الله ﷺ عن طريق ربطه بالتجارب السَّابقة، وأن النصر سوف يأتيه، ولكنَّ للنصر شروطه الموضوعية، وهي: (الصبر ، الثبات، استكمال الشروط)[2].

تغيير الوضع الاجتماعي (البناء العلوي) يتوقف على تغيير المحتوى الداخلي (النفسي والروحي للإنسان)، فهناك علاقة حتمية يشير إليها القرآن الكريم بأنَّ الوضع الاجتماعي لا يتغير ما لم يكن هناك تغير ينطلق من داخل النفوس، وورد في ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3].

لا استثناء من سنة التَّاريخ – ولا من طريق إلى النصر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[4].

---

١ – الرعد: ١١.

٢ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٦١.

٣ – الرعد:١١.

٤ – البقرة:٢١٤.

ويمكن الوقوف على عدة أفكار من خلال الآية المتقدمة: إن الله سبحانه وتعالى استنكر عليهم ان استثنوا من سنة التاريخ، إن نصر الله قريب، ولكن لابد من طريق لهذا النصر، وإن الهداية لهذا الطريق متوقفة على معرفة سنن التاريخ.

يضرب السيد الشهيد في ذلك مثالاً رائعاً، حيث يشبه طريق النصر المعتمد على معرفة السُّنن، بالدواء الذي يكون قريباً من المريض، لكن إذا كان هذا المريض لا يعرف تلك المعادلة العلميَّة، التي تؤدي إلى إثبات ان هذا الدواء يقضي على جرثومة هذا الداء لا يستطيع ان يستعمل هذا الدواء ولو كان قريباً منه إذن الاطلاع على سنن التاريخ هو الذي يمكن الإنسان من التوصل إلى النصر[1].

ث- صراع الأنبياء مع المترفين :

قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[2]، فهذه العلاقة هي عبارة عن سنة من سنن التَّاريخ، وليست ظاهرة وقعت من قبيل الصدفة، حيث يشير إلى أن النقيض الطبيعي للنبوة هو موقع المترفين والمسرفين[3].

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص٦٣.

٢ - سبأ :٣٤.

٣ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٦٤.

ج- العلاقة الثنائية بين سيطرة الظلم وهلاك الأمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[1].فهذه العلاقة أيضاً هي علاقة مطردة، وهي سنة على مر التاريخ.

ح- العلاقة بين عدالة التوزيع ووفرة الإنتاج، وهو ما يمكن استفادته من قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّهم كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[3]، فالقرآن يؤكد على أن مقتضى السُّنن هو أن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها في علاقات التوزيع يؤدي دائماً وباستمرار إلى زيادة الثروة إلى أن تفتح على الناس بركات السماء والأرض[4].

٤-الاتجاه القرآني الموضوعي والاتجاه اللاهوتي الغيبي

يحاول السيد الصدر أنْ يدفع شبهة قد تطرح من البعض، ومفادها أن الطابع الذي طرحه القرآن الكريم للتاريخ وللسنن، يبعد القرآن عن التفسير العلمي

---

١ - الإسراء: ١٦.

٢ - المائدة: ٦٦.

٣ - الأعراف: ٩٦.

٤ - النُّوري، حسن جابر، بحوث في التَّفسير الموضوعي، ص٣٥.

الموضوعي للتاريخ، ويجعله تفسيراً إلهياً للتاريخ الذي ظهر في مدارس الفكر اللاهوتي المسيحي كما ذكر أوغسطين[1]، وغيره.

ويمكن أن نلاحظ الفرق بين الاتجاهين:

– لقد ميز السيد الصدر بين هذين الاتجاهين بفارق أساسي يمكن إيجازه بما يلي :

١– ان الاتجاه اللاهوتي(التفسير الإلهي للتاريخ) يتناول الحادثة نفسها ويربطها بالله سبحانه قاطعاًصلاتها وروابطها مع بقية الحوادث .

بينما في التفسير القرآني، لا تنتزع الحادثة التاريخية من سياقها لربطها مباشرة بالسماء، ولا يطرح صلة الحادثة بالسماء كبديل عن أوجه الانطباق والعلاقات والأسباب والمسببات على هذه الساحة التاريخية، بل أنه يربط السنة التاريخية بالله، أي إنه يربط أوجه العلاقات والارتباطات بالله، فهو لا يريد أن يتجه اتجاه التفسير الإلهي في التاريخ، ولكن يريد أن يؤكد بأنَّ هذه السنن ليست خارجة عن قدرة الله سبحانه وتعالى، وإنَّما هي تعبير وتجسيد وتحقيق لقدرته[2].

٥– خصائص السنن التاريخية :

---

١ –أوغسطينس (٣٥٤–٤٣٠م) قديس من آباء الكنَّهايسة المشهورين ابن القديس مونيكا أسقف هيبون في الجزائر ، عاش شاباً مضطرباً وارتد بمعنى عاد للإيمان . بفضل مواعظ القديس أمير وسيوس . إضافة إلى انه من اللاهوتيين والفلاسفة الكبار، وقاوم البدع وحاول التوفيق بين العقل والإيمان ، وكان من أثاره (مدينة الله) (النعمة) . المنجد في الإعلام واللغة . ص٨٧.

٢ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٧٣.

لا بد للسنن التاريخية من خصائص يعتمد عليها، ويستطيع الآخرون معرفتها من خلال تلك الخصائص وقد ذكر السيد الصدر ثلاث خصائص للسنن التاريخية مِنْ استعراضه للنصوص القرآنية والمقارنة فيما بينها، وهي:

١- الإطراد ٢- الربانية ٣- اختيار الإنسان.

وقبل الدخول في تفاصيل السنة لابد من الإشارة إلى أن بعض المؤلفين قد ذكر ان من خصائص السنن؛ (الثبات – الاطراد – العموم) من دون أن يشير في ثنايا بحثه أو حتّى في هوامشه إلى السيد الشهيد بكلمة، ونرى بأنه لا يخرج عن الصفات الثلاث التي حددها السيد الشهيد، بل إنه أغفل صفتين هما الربانية والإختيار وأبدلهما بصفتي الثبات والعموم، وأبقى على الاطراد[١].

الإطراد[٢]:

والمقصود بالإطراد هو: أن السنة التاريخية مستمرة - متتابعة - وليست مجرد علاقة عشوائية قائمة على أساس الصدفة والاتفاق.

ويذكر السيد الصدر أن التأكيد على طابع الاطراد في السنة تأكيد على الطابع العلمي للقانون التاريخي، و يستهدف القرآن من ذلك أن يخلق في

١- خليل، عماد الدين التفسير الإسلامي للتاريخ، ص١٣٤.

٢ - يعرف الإطراد بأنه التتابع والتسلسل ، وعلى هذا قولهم اطرد الكلام أو الحديث جرى مجرى واحد متسق والنهر تتابع جريان مائه والقياس دار الحكم فيه مع الوصف وجوداً فيه مع الوصف وجوداً وعدماً ، والاطراد بتشديد الطاء وكسرها من طرد ، التتابع بتنسيق وانتظام وفي الاصطلاح : هي عدم تخلف الحكم عند وجود العلة وهذا ما يروم إليه الشهيد الصدر، هو ان السنة التاريخية مطردة في القرآن الكريم، وليس مضطردة كما ينقل البعض . إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط، ج٢، ص٨

الإنسان المسلم شعوراً واعياً بجريان أحداث التاريخ متبصراً لا عشوائياً، ولا مستسلماً، ولا ساذجاً، حيث يربي الإنسان على ذهنية واعية علمية يتصرف في إطارها ومن خلالها في أحداث التاريخ .

ربانيّة السنة التاريخية :

بمعنى أنها قرار من السماء وفق متطلبات الحكمة، وبذلك تكون السنة التَّاريخية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، فكل قانون من قوانين التاريخ هو كلمة من الله تعالى وقرار رباني .

وعن طريق هذه الخصوصية يمكن أن تحقق عدة أمور:

أ- شد الإنسان إلى التعلق بالله حينما يريد الاستفادة من القوانين الموضوعية .

إشعاره بأنَّ الاستعانة بالنظام الكامل -لا الناقص- لمختلف الساحات الكونية .

الاستفادة من مختلف القوانين والسنن التي تتحكم في هذه الساحات مع مراعاة بأن الله يمارس قدرته من خلال هذه السنن.

٦- مجال السنن على الساحة التاريخية

يمثل التاريخ الساحة التي تحوي أو تضم الحوادث والقضايا التي يهتم بها المورّخون ويسجلونها .

ولكن قد يثار سؤال، هل كل هذه الحوادث محكومة وخاضعة للسنن التاريخية؟ فيجاب عليه: بأن جزءاً معيناً منها هو الذي تحكمه سنن التاريخ،

فهناك حوادث غير خاضعة لسنن التاريخ، بل تنطبق عليها قوانين أخرى لمختلف الساحات الكونية، كالقوانين الفيزيائية والفسلجية أو غيرها.

ويمكن توضيح ذلك بمثالين:

المثال الأول: موت أبي طالب ، وموت خديجة (رض) في سنة معينة[1]، عبارة عن حادثة تاريخية مهمة تدخل في نطاق المؤرخين ، ولكن لا تحكمها سنة تاريخية، بل تحكمها قوانين فسلجيةتحكمها قوانين الحياة التي فرضت أن يموتا أبا طالب وخديجة (رض) في ذلك الوقت المحدد .

المثال الثَّاني: طول عمر الخليفة الثَّالث (عثمان بن عفان)، حيث ناهز الثمانين، وهذه الحادثة التَّاريخية كان لها أثر عظيم في تاريخ الإسلام، فلو قدر لهذا الخليفة أن يموت موتاً طبيعياً وفقاً لقوانينه الفسلجية قبل يوم الثورة لكان من الممكن أن تتغير كثير من معالم التاريخ، كان من المحتمل أن يأتي الإمام أمير المؤمنين إلى الخلافة بدون تناقضات وبدون ضجيج وبدون خلاف هذه حادثة تاريخية..، ولها بعد تاريخي أيضاً، ولكن لا تتحكم فيها سنن التاريخ. إذن سنن التاريخ لا تتحكم بكل الساحة التاريخية، بل تقتصرعلى ميدان معين من هذه الساحات[2].

٧- خصائص الظواهر التاريخية :

---

١ - ووقعت تلك الوفاة في السنة العاشرة بعد المبعث النبوي الشَّريف، وسمي ذلك العام (عام الحزن).

٢- الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٧٨.

من المعروف أن لكل شيء خصائص وحقائق من الظواهر سواء كانت طبيعية أو كونية أو دينية لكن هذه الخصائص تختلف من ظاهرة لأخرى، ومنها الظواهر التاريخية حيث إنها تمتلك خصائص تختلف عن غيرها من الظواهر، يمكن إجمالها بما يلي :

أ- علاقة الظاهرة بالهدف :

الظواهر الكونية والطبيعية كلها تحمل علاقة ظاهرة مسببة بسبب، أو نتيجة بمقدمات ، فالغليان مثلاً ظاهرة طبيعية مرتبطة بظروف معينة (بلوغ درجة حرارة معينة وهي ١٠٠٪ مئوية)، هذا الارتباط ارتباط المسبب بالسبب العلاقة هنا (علاقة السببية). لكن هناك ظواهر على الساحة التاريخية تحمل علاقة من نمط آخر، وهي علاقة ظاهرة بهدف، أو ما يسميه الفلاسفة بالعلة الغائية[١] تميزاً لها عن العلة الفاعلية، هذه العلاقة علاقة جديدة متميزة فالعمل الإنساني الهادف لا يرتبط مع السبب (الماضي) فقط، بل يرتبط مع الغاية(المستقبل)، فالعلاقة التي يتميز بها العمل التاريخي -أي العمل الذي تحكمه سنن التاريخ- هو عمل هادف يرتبط بعلة غائية سواء كانت صالحة أو طالحة[٢].

---

١ - ويمكن تعريفها: (بأنها الكمال الأخير الَّذي يتوجه إليه الفاعل في فعله) وقال الشيخ الرئيس في طبيعيات الشفاء: (أما الغاية فهي المعنى الذي لأجله تحصيل الصورة في المادة ..) وقال في الإلهيات:(ونعني بالغاية التي لأجلها يحصل وجود شيء مباين لها) بداية الحكمة ص١١٨.

٢ - وقد أوضح السيد الشهيد هذه الآلية في بحث (عناصر المجتمع في القرآن) في ص١١٥-١١٦، بشكل مفصل من أراد فليراجع كتابه المدرسة القرآنية .

ومن ذلك يظهر أن ميدان السنن النوعية للتاريخ هو ذلك الجزء من الساحة التاريخية الذي يمثل عملاً له غاية يحمل علاقة إضافية إلى العلاقات الموجودة في الظاهرة الطبيعية، وهي العلاقة بالغاية والهدف (العلة الغائية)[1].

ب- علاقة العمل بالمجتمع :

لكن ينبغي ان نعرف -هنا- أنه ليس كل عمل له غاية هو عمل تاريخي، بل يوجد بعد ثالث إضافة إلى الفاعل (السبب) والهدف (الغاية) هو أن يكون لهذا العمل أرضية تتجاوز ذات العمل، فأرضية العمل هي (المجتمع).[2]

والخلاصة أن العمل التاريخي الذي تحكمه سنن التاريخ، هو العمل الذي يكون حاملاً لعلاقة مع هدف وغاية، ويكون في نفس الوقت ذا أرضية أوسع من حدود الفرد، بل ذا موج يتخذ من المجتمع علة مادية له، وبهذا يكون عملاً للمجتمع.

٨- أشكال السنن التاريخية في القرآن الكريم.

المقصود من أشكال السنن التاريخية هو : صيغ وأنواع السنن التاريخية، وقد استعرض السيد الشهيد ثلاثة منها، وقارن في أوجه الفرق بينها ، ولا أبالغ إن قلت : بأن السيد الشهيد هو الوحيد الذي تطرق إلى ذلك بشكل تفصيلي، بالنسبة إلى من سبقه، وأما بعده فقد تكلم عنها البعض من الباحثين، ولكن الاطلاع على كتاباتهم يولد الاطمئنان، بأنَّها قد اتكأت على تجربة السيد الشهيد .

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٨١

٢ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٨٢

ويمكن توضيح هذه الأشكال الثلاثة كالتالي :

شكل القضية الشرطية : ففي هذا الشكل تتمثل السنة التاريخية في قضية شرطية تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، وتؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء. وهذه الصياغة موجودة في كثير من السنن والقوانين وفي مختلف الساحات، فمثلاً: حينما نعبر عن القانون الطبيعي لغليان الماء، نتحدث بلغة القضية الشرطية، فنقول: إن الماء إذا تعرض إلى الحرارة وبلغت الحرارة درجة مائة مئوية في مستوى معين من الضغط سوف يحدث الغليان، فالغليان نتيجة مرتبطة موضوعياً بالشرط، والقانون الموضوعي المصاغ على نهج القضية الشرطية موجه عملي للإنسان في حياته.

ولولا حكمة الله التي جعلت من هذا القانون الطبيعي مطرداً، لما استطاع الإنسان أن يتحكم في هذه الظاهرة متى ما كانت حياته بحاجة إليها.

بعد ذلك يضرب عدة أمثلة من القرآن الكريم، مفادها ان السنة التاريخية بلغة القضية الشرطية، نذكر منها: ﴿إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]. هذه السنة التاريخية للقرآن بينت بلغة القضية الشرطية لأن مرجع هذا المفاد القرآني إلى ان هناك علاقة بين تغييرين بين تغيير المحتوى الداخلي للإنسان وتغيير الوضع الظاهري للبشرية والإنسانية، وأنه متى ما وجد ذاك التغيير في أنفس القوم وجد هذا التغيير في بناء القوم.

---

١ – الرعد:١١. وكذلك قوله تعالى:﴿وآلو استقاموا على الطَّريقة لأسقيناهم ماءاً غدقاً ﴾ ١٦: الجن ، وغيرها.

ثانياً : شكل القضية الفعلية.

حيث تصاغ بلغة التنجز والتحقق بلحاظ زمان ومكان معينين. وقد مثل السَّيد الشَّهيد لهذا الشكل بعدة أمثلة من القوانين الطبيعية والكونية، منها:

المثال الأول: ظاهرتي الخسوف والكسوف.

المثال الآخر: هو القرارات العلميَّة التي تصدر من دائرة الأنواء الجوية، والتي تتعلق بالمطر مثلاً .

ومن أمثلة الشكل الثَّاني للسنة التَّاريخية الواردة في القرآن الكريم :

سنة الوهن الاجتماعي الذي تصاب به المجتمعات نتيجة إعراضها عن الله تعالى:﴿مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1] ويؤكد هذه السنة الفعلية قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

سنة التفاوت بين أفراد البشر كما قال الله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

إنها سنة فعلية متحققة الوجود بين أفراد البشر سنة التفاوت في المواهب والاستعدادات في الخلق والرزق والقوة والبسطة والفضل والعلم، فهذا التنوع

---

١ – العنكبوت:٤١.

٢ – طه :١٢٤ .

٣ – الأنعام :١٦٥.

والتفاوت بين البشر يمثل إرادة الله تعالى في توزيع الأدوار والمهام فيما بينهم لتستمر عجلة الحياة بحركة تكاملية نحو تحقيق مصلحة الجميع[1].

ثالثاً: السنن الاتجاهية (السنة المصاغة على صورة الاتجاه الطبيعي).

وهي السنن التاريخية التي تتخذ شكل الاتجاه الطبيعي العام في حركة التاريخ، وليس شكل القانون الحدي الصارم، فهي كالسنن الكونية إلا أنها مقرونة بالمرونة، بحيث يتمكن الإنسان من تحديها، ولو على المدى القصير، ولا يستطيع أن يتحداها على المدى البعيد.

فهي بمعنى آخر اتجاهات تقبل التحدي لكن تحطم المتحدي، كسنة النكاح بالشكل الطبيعي غير الشاذ،وتوزيع الميادين بين الرجل والمرأة أو غيرها، والدين أهم هذه المصاديق فالدين ليس تشريعاً فقط، وإنما هو سنة من سنن التَّاريخ .. فهو ليس مقولة حضارية مكتسبة يمكن الاستغناء عنه، وانما هوفطرة الله التي فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله، بمعنى أن الدين لا يمكن ان ينفك عن خلق الله مادام الإنسان إنساناً[2].

---

١ – الكفيشي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص٢٣٨.

٢ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص٩٧.

المبحث الثاني :

عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم

١- عناصر المجتمع في القرآن الكريم.

٢- الاستخلاف سنة من سنن التَّاريخ .

٣- دور الإنسان في حركة التَّاريخ.

٤- أقسام المثل العليا.

٥- تفعيل أصول الدين للمسيرة البشرية.

٦- دور العلاقات الاجتماعية في حركة التَّاريخ.

٧- الفرق بين المثل الأعلى والفرعوني.

عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم

كلمة (عناصر) جمع عنصر بحسب اللغة، والعنصر معناه: الأصل والحسب[1].

ولذلك فإن معنى عناصر المجتمع هو أصوله. وقد جعل السيد الشهيد هذا المبحث مكون من ثماني فقرات، كل فقرة لها ارتباط بما يسبقها أي جعله مبحثاً متسلسلاً مبتدءاً بعناصر المجتمع في القرآن الكريم، ومنتهياً في الفرق بين المثل الأعلى والفرعوني.

١- عناصر المجتمع في القرآن الكريم

لقد ذكر السيد الشهيد الدين بوصفه سنة من سنن الحياة لكنَّه سنة من الشكل الثالث، وهي التي تقبل التحدي ولكن على الشوط القصير، والمتحدي يعاقب بسنن التاريخ نفسه .

وإن توضيح واقع هذه السنة القرآنية من سنن التاريخ، يتطلب منا تحليلاً لعناصر المجتمع.

ما هي هذه العناصر من زاوية القرآن الكريم؟ وما هي مقومات المركب الاجتماعي؟ وكيف يتم التركيب بينها؟ وضمن أي إطار، وأي سنن؟ يقف السيد الشهيد عند الآية الكريمة :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

١ - الجوهري، إسماعيل بن حمّاد ، الصحاح في اللغة، ج١، ص٥٠٠.

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، موضحاً بأن هناك ثلاثة عناصر للمجتمع هي:

الإنسان [2].

الأرض أو الطبيعة[3].

١- البقرة: ٣٠.

٢ -الإنسان كائن متميز خلقه الله من طين وبث في الروح فإذا به يجمع بين هذه الأشياء الأرض والطبيعة وتطلعات السماء كما في الآية الكريمة المشار إليها (وإذ قال ....) وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان الفطرة وهي عبارة عن المكونات التي أودعها الله في الإنسان والتي تهديه إلى السَّبيل الَّذي يتعين عليه ان يسلكه في الحياة الدنيا وهو الدين وتقوده تلك الفطرة للالتقاء بالآخرين من أبناء جنسه ، عبر الحاجات المتعددة والمتنوعة وهو يختلف عن غيره من الملائكة والحيوانات في انه حر مختار مسؤول ، خلقه الله وبين له الطريق ولم يكن مخلوقاً للدنيا وحدها فهناك معاد ينتظره، فهو بهذه المواصفات مخلوق له مكانة عند الله سبحانه وتعالى (﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾الإسراء ٧٠.

٣ – الطبيعة : أنها كل الكون المحيط بالإنسان والذي يتفاعل معه. وقد جعلها الله تعالى ميداً يمارس الإنسان نشاطه فيها ولا يراد بها الأرض فقط بل الأرض وما يحيط بها من عوالم مرتبطة بها مستنتجين ذلك من عدة آيات منها: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾طه ٥٣ ﴿اللّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾إبراهيم٣٢ .﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾البقرة٣٨ والعنصران المتقدمان الإنسان (الإنسان ، والطبيعة) يعدان من العناصر الثابتة والمشتركة في تكوين هذه المجتمعات .

العلاقة[1] التي تربط الإنسان بالطبيعة من جانب، وبأخيه الإنسان من جانب آخر، هذه العلاقة التي سماها القرآن بالاستخلاف .

المجتمعات البشرية تشترك في العنصر الأول والثاني، أما الثالث (العلاقة) ففي كل مجتمع علاقة تختلف في طبيعتها وصياغتها عن سائر المجتمعات.

وقد ذكر الشهيد الصدر صيغتين للعنصر الثالث :

صيغة ثلاثية :(الطبيعة ، والإنسان ، والآخر).

صيغة رباعية، بإضافة الله سبحانه إلى ما تقدم، وهذه الإضافة ليست من قبيل الإضافة العددية للأطراف لتصبح الثلاثة أربعة، بل هي إضافة ذات تأثير جوهري على مضمون هذه العلاقة بين الأطراف الأخرى، بمعنى أنها إضافة نوعية، لأن هذه الإضافة تحدث تغييراً نوعياً في بنية العلاقة الاجتماعية وفي تركيب الأطراف الثلاثة الأخرى، فالطرف الرابع -وهو الله سبحانه- سوف يعطي للأطراف الثلاثة الأخرى روحاً ومفهوماً جديدين يختلفان عن حالة تلك الأطراف وهي منعزلة عنه، حيث يصبح الإنسان مع أخيه الإنسان شريكاً في حمل الأمانة، وتكون الطبيعة بكل ما لديها بكل ما فيها أمانة لابد من رعايتها وأداء حقها.

٢- الاستخلاف سنة من سنن التاريخ .

وقد أعتبر السيد الصدر أن الاستخلاف مصطلح يُعبر عن الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية من زاوية نظر القرآن الكريم، وهو بالإضافة إلى ذلك سنة

---

١ - وهي عبارة عن العلاقة التي تقوم بين الإنسان والأرض ، وبين الإنسان والإنسان الآخر . وهي عنصر متغير من مجتمع لآخر . وعبر عنه السيد الصدر بالعنصر المرن .

من السنن التاريخية المؤثرة في حركة المجتمع عبر التَّاريخ. وتتألف هذه السنة من ثلاثة أطراف هي:

المستخلِف، وهو الله سبحانه وتعالى.

المستخلَف [الخليفة]، وهو الإنسان.

المستخلف عليه، وهو الطبيعة وبقية الناس.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الصيغة بنحوين :

الأول : اعتبار الاستخلاف مظهراً للفاعلية الربانية من زاوية العطاء، من خلال قوله تعالى:﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1]، وهذه العلاقة تُمثل عطاءً إلهياً يكشف عن الجانب التكريمي من الخالق للإنسان.

الثَّاني : باعتبار الاستخلاف مظهراً للفاعلية الإنسانية من زاوية قبول الإنسان لهذا العرض[2]، فيقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[3].

ولكن يرى السيد محمَّد باقر الحكيم أن العلاقة الاجتماعية رباعية الأطراف، بحسب ما يقتضيه الفهم القرآني، ولكنَّها إما (إلهية) أو (شيطانية)، وهذا ما يتضح من خلال تأكيد القرآن الكريم على طرح الله سبحانه وتعالى

---

١ - البقرة: ٣٠.

٢ - الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، ص١١٠.

٣ - الأحزاب: ٧٢.

مقابل الطاغوت والشيطان، وبذلك يكون الإنسان من منظور القرآن بين نوعين من العلاقة، كليهما رباعي الأطراف، وهما:

الأول : علاقة الاستخلاف : وهي تُعبر عن الصيغة الدينية للعلاقة ذات الطبيعة الإلهية الحقة وبعدها الرابع هو الله سبحانه وتعالى، وهو المستخلف للإنسان.

الثَّاني: علاقة الهوى والطغيان : وهي الصيغة الأخرى للعلاقة التي يكون البعد الرابع فيها هو(الشيطان)[1]، وتكون ذات طبيعة شيطانية قائمة، على أساس الهوى والغواية والطغيان. وعلى هذا تكون عناصر المجتمع الإنساني حسب ما طرحه السَّيد الحكيم:

الإنسان.

الأرض أو الطبيعة.

أصل العلاقة التكوينية القائمة بين الإنسان والإنسان من جهة، والإنسان والطبيعة من جهة أخرى.

النظام الاجتماعي الَّذي يحدد ويشخص شكل هذه العلاقة .

و على ضوء ما تقدم، فإنَّ المجتمعات البشرية لا تختلف في تعيين العناصر الأساسية إلا في الرابع، وهو النظام الاجتماعي[2].

وأما الشيخ شمس الدين، فقد ذكر بأن الخلافة في القرآن على قسمين :

---

١ - النوري، حسن جابر، بحوث في التفسير الموضوعي – السنن التاريخية والاستشراف - ، ص٩٠.

٢ - الحكيم، محمَّد باقر، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص١٠١-١٠٧ .

عامة (لجميع البشر) ولكنَّهاها مشروطة، بالإيمان والتوحيد وأعمار الأرض، مستدلاً بعدة آيات قرآنية منها: قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقوله أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

خاصة(خلافة الاصطفاء) : وهي الصنف من تثبت لهم الخلافة العامة كسائر البشر، ولكنَّهاهم يتمتعون بشروط تجعلهم أكثر أهمية ومسؤولية وهذه الشروط هي نفسها الثَّابتة في الخلافة العامة ولكنَّهاها صارمة ليس فيها شوائب ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]. معلقاً على ذلك بأن الخلافة ممكن أن تزول من قبل الله تعالى عند الانحراف والإخلال بشرطها : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ

---

١ – النمل :٦٢.

٢ – البقرة :٣٠.

٣ – النور : ٥٥.

أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[1]. كما أزال الله الخلافة الخاصة من بني إسرائيل .

وهذه السنة -والكلام للشيخ شمس الدين- في شأن الخلافة الخاصة، هي سنة من سنن التَّاريخ الثَّابتة بحسب الرؤية القرآنية لحركة التَّاريخ البشري، فليس اصطفاء على أساس القيم الأخلاقية، والأمانة لمقتضيات الخلافة.

ومن هنا فإن هذه السنة تجري بالنسبة للأمة الإسلامية، كما جرت بالنسبة للأمم القديمة في حال الإخلال بشروط الاصطفاء الإلهي[2]، وقوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[3].

٣- دور الإنسان في حركة التاريخ .

بعد أن ذكر السَّيد الشَّهيد أن الإنسان والطبيعة هما الركنان الثابتان، في تلك الصيغة المتقدمة، فلا بد من الحديث عنهما بشيء من التفصيل.

أ- الإنسان الأساس في حركة التاريخ :

تقدم أن حركة التاريخ تتميز بكونها هادفة تتجه إلى المستقبل، والمستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية، والوجود الذهني هو المحرك لذلك بما يتضمنه من (الأفكار) (الإرادة)، فالأفكار هي ما يحمله الإنسان من

---

١ - يونس : ٧١.

٢ - شمس الدين، محمَّد مهدي، الاجتماع السياسي والإسلامي، ص٢٧٧-٢٨٤.

٣ - الأنعام : ١٣٣.

مفاهيم حيال الهدف، وأما الإرادة فهي التي تحفزه على التحرك لتحقيق ذلك الهدف.

وبالامتزاج بينهما -الفكر والإرادة- تتحقق فاعلية المستقبل، ومحركيته للنشاط التاريخي على الساحة الاجتماعية[1]، وهذان الأمران هما اللذان يصنعان المحتوى الداخلي للإنسان، الذي هو الأساس لحركة التاريخ والبناء الاجتماعي العلوي، ولذلك فإذا تغير الأساس تغير البناء العلوي، وهي تعبر عن سنة تاريخية، حيث يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]، فهذه الآية تدل بوضوح على ذلك لأنها تتحدث عن تغيرين :

أحدهما: تغيير القوم،﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، ثانيهما: تغيير ما بالأنفس ﴿حتّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فإن أوضاع القوم لا تتغير حتّى يتغير ما بأنفس القوم، مؤكداً أن هاتين العمليتين يجب أن تسيرا جنب إلى جنب ولا يمكن أن يفترض الانفكاك بينهما .

وقد أطلق السيد الصدر على الأول مصطلح الجهاد الأصغر وعلى الثاني الجهاد الأكبر، واستمد هذين المصطلحين من واقع الإسلام الرسالي، لأن الإسلام يعبر عن تغيير المحتوى الداخلي بالجهاد الأكبر، مستهدفاً من ذلك التأكيد على الصفة الأساسية للمحتوى الداخلي، وأنه هو الأساس لأنَّ الجهاد الأصغر إذا بقي منفصلاً عن الأكبر لا يموت[3].

---

١ الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١١٦.

٢ - الرعد:١١

٣ - الصَّدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١١٨.

فالقرآن يريد أن يقول: إن الإنسان إذا لم ينفذ بعملية التغيير إلى قلبه، ولم يبن نفسه بناءً صالحاً لا يمكنه أبداً أن يطرح الكلمات الصالحة،لأن هذه يمكن أن تتحول إلى بناء صالح في المجتمع إذا انبعثت من قلب يعمر بتلك القيم التي تدل عليها تلك الكلمات.

ب- المثل الأعلى منطلق لبناء الإنسان.

ينطلق السيد الصدر من المحور الَّذي يستقطب عملية البناء الداخلي للإنسانية، فالمحتوى يجسد الغايات التي تحرك التَّاريخ من خلال وجودات ذهنية تمتزج فيها الإرادة والتفكير ، هذه الغايات التي تحرك التَّاريخ يحددها المثل الأعلى وبقدر ما يكون المثل الأعلى للجماعة البشرية صالحاً تكون الغايات صالحة وممتدة، وتتمحور نظرية الشهيد الصدر في عرضه للمثل الأعلى، وانعكاساته على المجتمعات القديمة والحديثة على تفسيره وتحليله للظواهر المشار إليها:

على النص القرآني من جانب أولاً.

وعلى تذوقه الشخصي من جانب آخر .

وعلى خبرته الاجتماعية ثالثاً[1].

وتجسيد المثل الأعلى من خلال رؤية فكرية، ومن خلال طاقة روحية تدفع بالإنسان مع طريقته. اختارت مثلها الأعلى، فقد اختارت في الحقيقة سبيلها ومنعطفات هذا السَّبيل.[2]

١- مسلم ، عبد الإله ، المصدر السابق، ص٩٥.

٢ - مطهري، مرتضى ، المجتمع والتاريخ ، ص٣٧٢.

ويذكر السيد الصدر، وغيره من المهتمين بهذا المجال، أن آيات القرآن الكريم والنصوص الدينية تطلق على المثل الأعلى في جملة من الحالات اسم الإله، باعتبار أن المثل الأعلى هو القائد الآمر المطاع الموجه .

وقد عبر حتّى عن الهوى بأنه إله، حينما يتصاعد هذا الهوى تصاعداً مصطنعاً، فيصبح المثل الأعلى، يقول تعالى :﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[1].

٤- أقسام المثل العليا

قسم الشهيد الصدر المثل الأعلى إلى ثلاثة أقسام :

أ- المثل الأعلى المنخفض

وهو الذي يستمد تصوره أي (مادته) من الواقع الذي يعيشه الإنسان، وبسبب كون هذا المثل يستمد من الواقع المحدود والمقيد فأنه يكتسب صفة الجمود والتكرارية، ولهذا سوف يكون المستقبل تكراراً للواقع وللماضي.

ويرجع السيد الصدر دواعي تبني المثل إلى سببين هما :

١- الألفة والعادة والخمول والضياع، وهي عبارة عن أسباب نفسية متى ما انتشرت في المجتمع أدت إلى الجمود على الواقع، بحيث يتحول هذا الواقع إلى مثل أعلى.

٢- التسلط الفرعوني، وهي ظاهرة اجتماعية قائمة على منع المجتمعات من تجاوز واقعها، لأن الفرعون (الحاكم الظالم) لا يسمح لأفراد المجتمع بتجاوزه

---

١ - الفرقان:٤٣.

والتحرك إلى مثل آخر غيره[1]، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[2].

وينبه السيد الصدر إلى ظاهرة إعطاء القدسية لهذا النوع من المثل العليا، مما يحافظ على استمرارها وبقائها، وأشار إليها القرآن الكريم في العديد من آياته، وأن المجتمعات ترفض دعوة كثيراً من الأنبياء، بسبب تمسكها بدين الآباء والأجداد، أي إنها تعطي القدسية للمثل الأعلى المعبود لأولئك الآباء.

عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[3]، وحيث إن هذا الدين هو نتاج بشري فإنه لا يمكن أن يكون هو الدين القيم، لأن البشرية لا يمكن أن تخلق إلهها بيدها[4].

انهيار الأمة وأفول المثل الأعلى

قضية سقوط الحضارات وتدهورها، يكاد أن يكون قولاً مجمعاً عليه عند أصحاب مذاهب التفسير الوصفي للتاريخ من أمثال هيجل في مثاليته، فهو يرى الناس والمجتمعات والدول في ممارستهم وتجاربهم التَّاريخية كأدوات

---

١ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٢٤.

٢ – القصص:٣٨.

٣ – النجم : ٢٣.

٤– الصدر، محمَّد باقر، المصدر نفسه، ص١٢٨.

مرحلية يستخدمها العقل الكلي فترة زمنية محدودة ثمَّ ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن.[1].

ويرى كارل ماركس أن سقوط الحضارات إنما يتم بتسلط طبقي جديد يبلغ ذروته في سلطة سياسية جديدة -أي- أن أول عامل من عوامل سقوط الحضارة عند ماركس هو تسلط طبقة السلطة السياسية على المجتمع ، أوليس تاريخ كل مجتمع من قديم العصور حتّى يومنا هذا سوى صراع الطبقات؟

فالبرجوازية في نظر ماركس أدت دوراً ثورياً حينما استولت على السلطة، حطمت دون رأفة الصلات الإقطاعية التي تربط الإنسان بيده، ولم تبق على صلة بين الإنسان والإنسان إلا المصلحة الشَّخصية العادية والدفع نقداً وعداً[2].

أما شبنكلر وتوينبي فيعلنان حتمية السقوط كأمر لا مفر منه، وقد أكد القرآن الكريم ذلك من خلال آيات عديدة، من أمثال آية التداول، وهي قوله تعالى:﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[3]، حيث تدل على أن سقوط الحضارات أمر لا بد منه .

ويعلل القرآن ذلك أن سبب هذا السقوط كان نتيجة الانحرافات المتعددة عن مختلف المسارات، فمهما يطول ويمتد هذا المثل لابد أن يسقط وتسقط قيمه وتنحط مبادؤه وتتلاشى، ويتضح هذا المعنى من خلال قوله تعالى: ﴿وَلاَ

---

١ - خليل، عماد، التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص٢٥٥.

٢ - هيشور، محمَّد، المصدر السابق، ص٩٣.

٣ - آل عمران:١٤٠.

يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

وهناك آليات عديدة لهذا السقوط، منها -كما يذكر السيد الصدر- فقدان الأمة ولائها لهذه المثل، وعدم بقائها متمسكة به، ومعنى ذلك أن القاعدة الجماهيرية الواسعة للمثل في الأمة سوف تتمزق وحدتها.

بعد أن تفقد الأمة ولائها لهذا المثل تصاب بالتمزق والتغير، وتكون كما وصفها القرآن الكريم:﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[2].

وفي حالة من هذا القبيل لا تبقى أمة وإنما شبح أمُّة فقط، من دون أن يكون لها تأثير في المجتمع، لأنَّ مثلها يفقد القدرة على العطاء، وفي هذا الصدد يقول الشهيد الصدر: في ظل هذا الشبح سوف ينصرف كل فرد في هذه الأمة إلى همومه الصغيرة، إلى قضاياه المحدودة، لأنَّه لا يوجد هناك مثل أعلى تلتف حوله الطاقات[3].

أنه لابد من الالتفات إلى أن هذه المثل قد تتوحد من خلال وسائل متعددة، كالإعلام الذي يصل إلى الناس أو غيره كما هو السائد في عصرنا هذا، ولكنّها تبقى تفتقر إلى الصحوة الإسلامية ونظامها.

---

١ - آل عمران : ١٧٨.

٢ - الحشر: ١٤.

٣ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص ١٣٠.

الإجراءات التاريخية تجاه الأمة المنهارة :

لقد تكلم الكثير من الفلاسفة والمؤرخين حول حتمية السقوط، وأسبابه، وكان السيد الشهيد ملتفتاً إلى هذا الأمر محللاً النتائج المترتبة على تحول الأمة إلى شبح مشيراً إلى أن هناك ثلاثة إجراءات أو بدائل أمام هذه الأمة، وهي :

تداعي الأمة أمام الغزو الخارجي، حيث ينشغل أفراد المجتمع في حاجاتهم وملذاتهم دون أن يفكروا في أمتهم ووحدة بلدهم، ونتيجة ذلك أنهم سيقعون فريسة سهلة للاحتلال والعبثية من قبل المستعمرين.

الإنصهار في مثل أعلى أجنبي مستورد من الخارج كي تعطيه ولاءها، وتمنحه قيادتها.

أن تنشأ في أعماقها بذور إعادة المثل الأعلى من جديد بمستوى العصر الذي تعيشه تلك الأمة .

ويرى السيد الشهيد أن الأمة وقفت أمام الإجراءين الثاني والثالث على مفترق طريق حينما دخلت عصر الاستعمار، فطريق يدعوها إلى الانتصار في مثل أعلى من الخارج، وقد سارت فيه فئة من المسلمين، وبعض حكامهم، ومنهم: أ – (رضا خان) في إيران ب– (أتا تورك) في تركيا.

والطريق الأخر الذي مثله رواد الفكر الإسلامي، من أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمَّد عبده والشيخ عبد الرحمن الكواكبي، فهؤلاء أطلقوا جهودهم في سبيل الإجراء الثالث في سبيل عودة الحياة إلى الإسلام من جديد .

ومن المفكرين في هذا العصر الذين أرادوا إحياء الإسلام من جديد، وتقديمه بلغة عصرية، وبمستوى ينسجم مع عصرهم السيد الإمام الخميني والسيد الشهيد الصدر.

ونستطيع مما تقدم أن نخلص إلى :

إن التاريخ يتحرك من خلال البناء الداخلي للإنسان الذي يصنع للإنسان غاياته .

بناء الغايات المتقدمة على أساس المثل الأعلى التي تنبثق عنه.

لكل مجتمع مثل أعلى مسار ومسيرة، وهذا المثل الأعلى الذي هو يحدد في تلك المسيرة معالم الطريق.

حركة التاريخ في المجتمع الذي يتبنى المثل الأعلى المنخفض تكون تكرارية حيث تقوم على أخذ الحاضر لكي يكون هو المستقبل.

ب – المثل العليا المشتقة من طموح محدود :

إن لكل فرداً ومجتمعاً طموحاً يطمح إليه، ويروم الارتقاء إليه، وحينما يرى أن المثل المنخفض لا يحقق له طموحه، فهو يبحث عن مثل أخرى تحقق له ذلك الطموح، ويفترق هذا المثل عن سابقه، بأنه مشتق من طموح الأمة وتطلعها إلى المستقبل، ولذلك فإنه يحفز الأمة إلى الطموح والتجدد والإبداع، بينما المثل الأول عبارة عن تعبير مكرر عن الواقع.

ولهذا فأن المثل الثاني لا يخلو من جانب صحيح، ولكنه بسبب أن الإنسان عبر مسيرته الطويلة لا يمكن أن يستوعب برؤيته الطريق الطويل كله، لأنه

محدود الذهن فإن التغيير يكون محدوداً، فالإنسان لا يمكن أن يستوعب المطلق، ولذلك فهو يأخذ قبضة من هذا المطلق تنير له الطريق .

ولكن ما هو الجانب السلبي في استيعاب الإنسان لجزء من المطلق؟ من الممكن القول أن الإجابة تكمن في فطرية التوحيد التي طرحها السيد الشهيد كسنة تاريخية، حيث تظل هذه الفطرة مرتبطة بالخط الأيدلوجي العام للإنسان، أي الموقف الفلسفي من الكون ومبدعه، وهذا ما فطرت البشرية عليه[1].

ذلك أن الطموح المحدود وبعد ان أصبح إلهاً وديناً وواقعاً قائماً فسيكون بنفسه عقبة أمام استمرار زحفه نحو الكمال الحقيقي[2].

المراحل التي تمر على النمط المشتق من طموح محدود: وتحت هذا العنوان نجد الالتفاتة القيمة التي التفت إليها السيد الشهيد، حينما شخص المراحل التي تمر على النمط المشتق من طموح محدود، وقسمها إلى ستة مراحل :

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة يكون للمثل فاعلية وعطاء وتجديد بقدر ما له من ارتباط بالمستقبل، ويعبر القرآن عن هذا العطاء بـ(العاجل)، لأن عمر هذا المثل قصير، فهو وإن أدى إلى مكاسب، ولكنَّها في النظر القرآني عاجلة تعقبها جهنم، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً

---

١ – مسلم، عبد الاله، المصدر السابق، ص٩٨.

٢– الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٣٣.

مَّدْحُوراً﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ ،﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1].

المرحلة الثانية : وهي المرحلة التي يتجمد فيها المثل الأعلى، فبعد أن يصبح المثل غير قادر على العطاء ويستنفد كل طاقاته، ويتحول القادة إلى سادة وكبراء، وجمهور الأمة إلى مطيعين ومنقادين لا مشاركين ومبدعين، ويستشهد الشهيد الصدر لذلك بقوله تعالى:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[2].

المرحلة الثالثة : هذه المرحلة من الممكن تسميتها بمرحل التوارث الطبقي، وهذا ما عبر عنه القرآن بأكثر من آية كقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[3].

حيث نجد المعاندين للمشروع الإلهي هم الذين آثروا الترف على طلب الحجة، وهم المتنعمون الرؤساء[4] من كل قوم، والذين عبر عنهم السيد الشهيد

---

١ -الإسراء:١٨-٢٠.

٢ - الأحزاب: ٦٧.

٣ - الزخرف: ٢٣.

٤ - الطوسي، محمَّد بن الحسن، المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

بأنهم نتاج تاريخي تحول من مستوى مثل وعطاء إلى مستوى طبقة مترفة تتوارث هذا المقعد[1].

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة تفتيت الأمة وتمزيقها وسيطرة المجرمين عليها، الذي عبر عنها الله سبحانه بقوله تعالى:﴿وِلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[2].

ت – المثل الأعلى الحقيقي :

بعد ان تكلم السيد الشهيد عن النوعين السابقين من المثل تكلم عن النوع الثالث ، هو المثل الأعلى (الله) المثل الكامل، وقد ابتدأ كلامه بالآية الكريمة، والتي من الممكن ان نطلق عليها (آية الكدح) وقد فسرت كلمة الكدح بمعنى السير، ولكن ميزة ذلك السير ليس سيراً اعتيادياً، وإنما هو سير تصاعدي، هو سير تسلق، كما عبر عن ذلك،ثمّ أن هذا السير الذي يتضمن هذه المعاناة لابد له من طريق يسلكه، فالسير دائماً لابد له من طريق بين السائر والمسار إليه أي (الهدف)[3]، وهذا الطريق قد تحدثت عنه مجموعة من الآيات الكريمة في مواضع متعددة تحت اسم :

أ– سبيل الله كما هو واضح في كتابه الكريم :

---

١ – الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٣٩.

٥– الأنعام: ١١٣

٣ – مسلم، عبد الإله، المصدر السابق، ص١٠١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلام لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[1].

ب- الصراط، وهذه المفردة الجليلة في سورة الفاتحة وغيرها من الآيات القرآنية المباركة ومنها:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاس مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

ت -صراط الله-: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[3]، فهذه الصيغ المتقدمة باختلاف تعبيراتها، ومضامينها، جميعها تتحدث عن ذلك الطريق.

فالآية القرآنية (الكدح) تتحدث عن حقيقة قائمة، عن واقع موضوعي ثابت[4]، فهي تتحدث عن أي تقدم للإنسان في مسيرته التاريخية الطويلة، معتبرته تقدماً نحو الله، وان صدر ذلك من تلك الجماعات المتمسكة بالمثل المنخفضة والتي استطاعت ان تحقق لها سيراً على هذا الخط الطويل.

ولكن ثمة فرق يشير اليه السيد الصدر بين نوعي التقدم:

---

١ - النساء: ٩٤.

٢ - البقرة:١٤٢.

٣ -الشورى:٥٣

٤ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٤٢.

الذي يطلق على البعض منه التقدم المسؤول والبعض الآخر باللامسؤول، فكلما كان تقدم الإنسانية واعياً على المثل الأعلى يسمى هذا التقدم بالمسؤول.

على العكس مع الآخر الذي يعزل عن المثل الأعلى، فهو تقدم نحو الله على أي حال ، ولكنه تقدم غير مسؤول.

ويشير السيد الصدر إلى نتيجة تترتب على تبني هذا المثل الأعلى، تحدث لنا تغيرين:

أحدهما على المستوى الكمي، والآخر على المستوى الكيفي.

فالتغيير الكيفي: هو الَّذي تمثل في حل التناقض الإنساني، بحل الجدل الإنساني كما يذكر السيد ذلك (الإنسان من خلال أيمانه بهذا المثل الأعلى ووعيه على طريق بحدوده الكونية الواقعية من خلال هذا الوعي ينشأ بصورة موضوعية ، شعور معمق لديه بالمسؤولية)[1].

التغيير الكمي : إن مجال التطور والإبداع والنمو قائم أبداً ومفتوح للإنسان باستمرار من دون توقف، فحينما يأخذ الإنسان هذا المثل ويتمسك به، ستمسح كل الآلهة المزورة من طريق الإنسان التي تقف عقبة بين الإنسان ووصوله إلى الله تعالى.

---

١ – المصدر نفسه، ص١٤٥.

شروط المثل الأعلى الحقيقي:

ويضيف سماحة السيد الصدر إلى ما تقدم من كلام حول المثل الأعلى كلاماً أخريتضمن شروط تبني ذلك المثل، فالذي لا يملك هذه الشروط لا يمكنه ان يتبنى هذا المثل بطبيعة الحال، ويمكن الإشارة إليها بإيجاز :

١- لا بد من امتلاك السيرة البشرية رؤية واضحة من ناحية الفكر الايدولوجية لهذا المثل، متمثلة بعقيدة التوحيد.

٢- لا بد من امتلاك طاقة روحية مستمدة من المثل، و متمثلة هذه الطاقة في العقيدة (يوم القيامة).

٣- يتميز هذا المثل بانفصاله عن الإنسان، فهو ليس جزءاً من الإنسان ولا من إفرازه وهو الانفصال يستدعي وجود صلة موضوعية بين الإنسان وهذا المثل، وهذه الصلة متجسدة بالنبي عليه السلام[١].

٥- تفعيل أصول الدين للمسيرة البشرية :

إن أصول الدين الخمسة :(التوحيد – العدل- المعاد- النبوة- الإمامة)، كلها تساهم في ترتيب المثل الأعلى، وتساهم في إعطاء تلك العلاقة الاجتماعية بصيغتها القرآنية الرباعية (الاستخلاف)، نستخلص منها، الانشداد إلى مبادئ الله سبحانه (المثل الأعلى) الذي تتبناه البشرية بما تستتبعه من التغير الكمي والكيفي[٢].

---

١ -الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٥٢..

٢ - مسلم ، عبد الإله ، المصدر السابق، ص١٠٣ .

وقد ذكر السيد الصدر أربعة من هذه الأصول متمثلة في شروط تبني المثل الأعلى، ولم يذكر (العدل) باعتباره جانب من جوانب التوحيد وان انفصاله من التوحيد كصفة من صفات الله، حاله كحال العلم والقدرة، ولا يوجد ميزة عقائدية في العدل مقابل العلم، في مقابل القدرة، ولكنَّها هنا ميزة اجتماعية، لأن العدل هو الصفة التي تعطي للمسيرة الاجتماعية وتغني المسيرة الاجتماعية وتكون تلك المسيرة بحاجة إليها أكثر من أي صفة أخرى[1].

ويمكن ان نقف عند قضية العدل التي تكلم عنها السيد الشهيد، وقال إنما مُيزت باعتبارها صفة لا حاجة اجتماعية، وإلا فالعدل داخل في إطار التوحيد العام.

وقد نوقش هذا الكلام من قبل البعض: بأن العدل صفة أفرزت عن الصفات الأخرى نظراً لارتباطها باليوم الآخر، وليس لارتباطها بالبعد الاجتماعي[2].

نحن لا ننكر بأن التوجيه لا يخلو من صحة، ومن وجه، ولكن يمكن القول بأن السيد الشهيد كان يناقش الصفة على مستوى البعد الاجتماعي دون الالتفات إلى المستويات الأخرى.

٦- دور العلاقات الاجتماعية في حركة التاريخ

بعد أن تكلم السيد الشهيد عن دوري الإنسان والطبيعة، ضمن معالجته الاجتماعية لدور الإنسان والطبيعة والعلاقة بينهما من خلال تحليله لعناصر

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٥٤.

٢ - مسلم، عبد الإله، المصدر السابق، ص١٠٤.

المجتمع، يكلمنا الآن عن العنصر الثالث وهو(العلاقة) بينهما، أي: بين الإنسان والطبيعة من جهة، وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان من جهة أخرى.

أ- علاقة الإنسان مع الطبيعة

يطرح السيد الشهيد في ضوء هذه العلاقة مشكلة تبرز من خلال التناقض الحاصل بين الإنسان والطبيعة، بعد ذلك يطرح حلاً من خلال سنة من سنن التاريخ الثابتة متمثلة بقانون التأثير المتبادل (بين الخبرة والممارسة)، وهذا القانون من خلال نموه وتطبيقاته التاريخية يعطي الحلول التدريجية لهذه المشكلة، وقد استعان الشهيد الصدر بدليل قرآني للحل المذكور متمثلاً في الآية الكريمة: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

معبراً عن ذلك بقوله : (لعل في الآية الكريمة إشارة إلى هذا الحل الموضوعي المستمد من قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة لأن السُّؤال في الآية الكريمة: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

فلا يراد منهً السؤال اللفظي الَّذي هو الدعاء، فالإيتاء هو استجابة فعلية بعطاء ما سئل عنه ذلك السؤال الصادر من الإنسانية ككل لم يقتصر على فترة دون أخرى، بل يكون عبر (الماضي – الحاضر – المستقبل) متمثلاً في السؤال

---

١ - إبراهيم:٣٤.

الفعلي والطلب التكويني الذي يحقق باستمرار التطبيقات التاريخية لقانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة[1].

ب- علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان

وأما هذه العلاقة فتواجه مشكلة، وهي مشكلة التناقض الاجتماعي بين الاثنين، متخذاً هذا التناقض على الساحة الاجتماعية صيغاً متعددة، باقياً في جوهره شيئاً واحداً وحقيقة واحدة، متمثلاً بين القوي والضعيف.

ومن ثمّ يقر السيد الشهيد بأن الإسلام هو الرسالة الوحيدة القادرة على حل هذه المشكلة قاطعاً رحلة طويلة في مناقشة بعض الاتجاهات الأرضية خاصة الاتجاه الماركسي في ذهابه إلى إن المشكلة، هي التناقض الطبقي بين مالكي وسائل الإنتاج وبين عدم مالكيها ويرد ذلك من خلال الواقع التاريخي للدول الرأسمالي واحتوائها العمال إلى جانبهم، واشتراكهما جميعاً في نهاية المطاف في استغلال شعوب العالم الثالث منتهياً من ذلك إلى أن التناقض هو داخل الإنسان وليس بمعناه الماركسي[2].

٧- الفرق بين المثل الأعلى والفرعوني

ان الفرق الرئيس بين هذين المثلين، والذي يعتبر من الفروق الرئيسية والأساسية هو :إن المثل الأعلى يتميز بالشمولية، فهو يستوعب كل الحدود والفوارق ويؤكد على الألفة والمحبة والاعتصام ولا يفرق بين جنسية أو

---

١ - الصدر، محمَّد باقر، المصدر السابق، ص١٥٩.

٢ - مسلم، عبد الإله، المصدر السابق، ص١٠٥.

قومية، أو حتّى حدود جغرافية أو طبيعية، ويمكن ان يتضح ذلك من خلال عدة آيات : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

وقد قسم الشهيد الصدر المجتمع الفرعوني (مجتمع الظلم) إلى ستة أقسام، معتمداً ظاهرة (تجزئة) المجتمع، يمكن إيجازها بما يلي :

الطائفة الأولى (الجماعة): وهم الظالمون المستضعفون. فهم من جانب يكونون أنصاراً للظلمة، ومن جانب آخر يخضعون للظلم الفرعوني فتنسحب عليهم صفة الاستضعاف، معبراً عنهم القرآن الكريم بقوله :﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لكنَّهاا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

الطائفة الثَّانية: وهم المتزلفون والمتملقون الذين لا يمارسون ظلماً بأيديهم، لكنَّهم يصححون لفرعون عمله، كما ذكر هو الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[4].

---

١ – الأنبياء:٩٢.

٢ – القصص:٤.

٣ – سبأ:٣١.

٤ – الأعراف:١٢٧.

الطائفة الثالثة: وهم الهمج الرعاع، كما عبر عنهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[1].

ويعرفهم السيد الشهيد: على أنهم مجرد آلات مستسلمة للظلم لا تحس حتّى بالظلم ولا تدرك أنها مظلومة ولا تدرك في المجتمع ظلماً.

الطائفة الرابعة: الساكتون عن الظلم، الَّذين يسميهم القرآن بظالمي أنفسهم: ﴿إِنَّ الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[2].

الطائفة الخامسة: الطائفة الهاربة عن مسرح الحياة: وقد وصفها السيد الشهيد بأنها تتخذ طريقين:

الطريقة أو الصيغة الجادة، وهي التي تتحقق عن طريق الفرار بالنفس حتّى لا تتلوث بأخطاء المجتمع، المشجوبة من قبل الإسلام: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[3].

الرهبانية المفتعلة: فلابسها ليس جاداً ولا راهباً من أعماق نفسه، كما عبر السيد الشهيد: وإنما هدفه إشغال الناس عن فرعون وظلمه، ويسطو عليهم نفسياً وروحياً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ

---

١ قال عليه السلام(لناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع ينعقون مع كل ناعق) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ص١٤٧.

٢ – النساء:٩٧.

٣ – الحديد:٢٧.

أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

الطائفة السادسة : (المستضعفون) وهؤلاء اضطهدوا من قبل فرعون ونكل بهم، ويعلل السَّيد سبب ذلك قائلاً: لأنها كانت هي التي يتوسم أن تشكل إطاراً للتحرك ضده، ولهذا استضعفها بالذات﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2].

ولقد برع الشهيد الصدر في تقسيمه لهذه الطوائف الاجتماعية، التي اصطنعها الفراعنة، وقد تميز بهذا الطرح عن غيره من العلماء المختصين في علم الاجتماع أو غيره باعتماده على البعد الإسلامي، وكذلك الآلية والمنهجية التي استخدمها في هذا المبحث.

ويشير السيد الشهيد في ختام بحثه إلى ان هذه النظرية القرآنية في تحليل عناصر القرآن المجتمع، تشكل أساساً للاتجاه العام في التشريع الإسلامي[3].

---

١ -التوبة:٣٤.

٢- البقرة:٤٩.

٣ - الصدر، محمَّد باقر، السنن التاريخية في القرآن، إعداد وتحقيق محمَّد جعفر، شمس الدين، ص١٥٩.

الخاتمة

منهج الشهيد محمَّد باقر الصدر في التفسير الموضوعي كان له صداه المميز على صعيد تطور علم تفسير القرآن الكريم لدى المسلمين وحتّى غير المسلمين كالمستشرقين والمعنيين بدراسة التفسير من ذوي الاختصاص، وهذا الصدى العلمي كان يتركز على أمرين هامين؛ على المنهج الذي جاء به الصدر، كمنهج .. وعلى صاحب المنهج، كمفكر كبير أغنى الساحة العلميَّة وأثراها ..

فالشخصية العلميَّة التي تمتع بها السيد الشهيد رَحِمَهُ اللَّهُ استطاعت أن تعمل في كافة المجالات، وعلى مختلف الأصعدة، وأن تكون ناجحة فيها، ولها قصب السبق في مجالات العلوم الدينية، والفكر الإنساني، والتأثير السياسي والاجتماعي، وخلال فترة وجيزة أصبح لشخصيته العلميَّة الفذة وزنها وتأثيرها المهيمن على المستوى الوطني والإقليمي والدولي.

ومهما يقال عن السيد الشهيد محمَّد باقر الصدر وآثاره العلميَّة، فإنه سيظل ملهماً للمزيد، ولذا فإن هذا البحث حاول أن يعطي لمنحى هام من مناحي فكر هذا المفكر الإسلامي الكبير شيئاً من الرصد والدراسة، ذلك هو منحى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مع ملاحظة أن البحث في سيرة العظماء لا يمكن أن يختصر أو يوجز في كتاب أو بحث، بل تبقى هذه السيرة قبساً ينير الطريق أمام الأجيال بمختلف أجناسهم وأعمارهم.

والسيد الشهيد يمثل نقطة انطلاق إلى الأمام من أجل خدمة الأمة الإسلامية، بل الأمة الإنسانية جمعاء، فكان حقاً لشخصية إسلامية مثله بما يتمتع به من مزايا إنسانية أن يكتب عنه، وأن تؤخذ منه الدروس والعبر.

ومن النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث :

المنهج الذي تميز به الشهيد الصدر، من خلال الأبعاد الفكرية التي ركّز عليها، وهي :

أ-الترابط. إن الترابط على صعيد أجزاء الفكرة الواحدة، أو على ضوء علاقاتها لبقية جوانب الإسلام، هو ثابت منهجي في جميع أعمال الصدر رحمه الله.

ب- الانفتاح على الواقع ووعيه.

إن التفسير الموضوعي (وهو ما يعنينا هنا من تراث الشهيد الصدر الفكري) يمتاز عن غيره (التفسير الترتيبي) بعدة إيجابيات، أحدثت نقلة نوعية جديدة في علم التفسير، بعد أن كان تفسيراً يعتمد على أسس تقليدية توارثها الخلف عن السلف، حيث يبدؤون بتفسير القرآن من سورة الفاتحة وينتهون بسورة الناس، الأمر الذي تحدث فيه الكثير من الهفوات، ويؤدي إلى الإغفال عن الكثير من المعارف والعلوم المكتنزة في كتاب الله الكريم.

وعلى حد تعبير السيد الشهيد الصدر فإن هذا النوع من التفسير أدى إلى حدوث ظاهرة سلبية في تفسير القرآن، وهي أن دور النص فيها هو دور المتحدث، ودور المفسر هو الإصغاء والفهم، وهذا ما يسميه بالدور السلبي.

والظاهرة الأخرى التي اعتبرها السيد الشهيد سلبية بالنسبة لهذا النحو من التفسير بشكل عام هو أن الاتجاه التجزئي يقدم المدلولات التفصيلية والاتجاه الموضوعي يحاول الحصول على النظريات .

لذلك نرى أن التفسير الموضوعي انطلق ليسد حاجة المجتمع التي تبحث عن نوع خاص من التفسير، لمواكبة التطور العلمي الحاصل في العصور المتأخرة، بعد الجمود الذي حل في الساحة الإسلامية وعلى مختلف أصعدتها، وخاصة في جانب الدراسات التفسيرية.

وهو ما دفع بثلة من مفكري العالم الإسلامي إلى الخوض في هذا العلم والكتابة فيه بشكل مستقل، وإلى وضع قواعد وأسس مستقلة له حتّى يمكن تمييزه عن التفسير بشكل عام والذي يشترك معه التَّفسير الموضوعي ببعض القواعد.

فمن قواعده الخاصة التي ينفرد بها، تصور الموضوع ومحاولة تحديده وتشخيصه وعنونته، بعدها ينطلق المفسر لتتبعه في القرآن الكريم، وجمع الآيات التي تخصه مع وقوفه على أقوال المفسرين في هذه الآيات المباركة.

ثم يستنبط عناصر الموضوع من خلال عرض القرآن الكريم لها،بعدها يقوم بالتنسيق بين هذه الأفكار بحسب ما تقتضيه طبيعة البحث، ومن ثم ربط الموضوع بواقع الحياة ومشكلاتها، محاولاً تقديم الحلول القرآنية المناسبة لها، مع مراعاة جانبين مهمين وهما :

تجنب الإسرائيليات، والروايات الضعيفة، والقصص والتاريخ غير الدقيق، مع العناية بشرح الكلمات الغريبة وتوجيه القراءات، بما ينسجم وروح الواقع والعقل.

الجانب الآخر الذي ينبغي مراعاته هو أن وظيفة التفسير الموضوعي هي وظيفة حيوية، لأن المفسر يحمل في كل مرحلة، وفي كل عصر تراث البشرية، ويحمل أفكار العصر الذي يعيشه.

ولقد استطعنا في هذا البحث أن نصل إلى نتيجة مهمة، وهي معرفة الضابط الذي من خلاله يتم التمييز بين التفسير الموضوعي عند السيد الشهيد وغيره، فقد يعتقد البعض بأن التفسير الموضوعي له طريقة واحدة يعتمدها المشتغلون في هذا التفسير، لكنَّهانا من خلال الاطلاع على الطريقة التي اعتمدها نجده قد اختلف عن غيره، واهم ما ميزه؛ الانطلاق من الموضوع (من الواقع الخارجي)، ثمَّ العودة إلى القرآن الكريم، بمعنى آخر: إن القرآن - حسب رؤية السيد الشهيد- يلتحم مع الواقع والحياة، لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي بالقرآن.

في حين يشير الآخرون في تعريفاتهم إلى أنه هو الذي يلتزم به المفسر (موضوعاً)، لا موضعاً بعينه، فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها ويقيم منها بناءً متكاملاً يقرر موقف القرآن من قضية ما، أي أنهم ينطلقون من القرآن وإلى القرآن.

وبالإضافة إلى معرفة الشروط الخاصة التي يتفرد بها التفسير الموضوعي والتي تتمثل بالذهنية الإسلامية التي يتمتع بها المفسر، وكذلك الاندماج

الكلي في القرآن الكريم، أو ما يعبر عنها بالذهنية القرآنية بديلاً عن الذِّهنية المذهبية، إضافة إلى ما تقدم لابد من وجود منهجية في التفسير الموضوعي.

كذلك استطعنا أن نتعرف إلى السنن التاريخية في القرآن الكريم، حينما جعلناها كمبحث تطبيقي، والذي تعرفنا من خلاله على العطاءات القرآنية في مجال سنن التاريخ.

ولابد من ملاحظة فارق جوهري بين الساحة التاريخية وبقية الساحات الكونية، ويتمثل هذا الفارق بكون الساحة التاريخية مرتبطة بوظيفة القرآن ككتاب هداية، خلافاً لبقية الساحات الكونية والميادين الأخرى للمعرفة البشرية.

وقد استعملت عدة أساليب في بيان سنن التاريخ، كالأسلوب الذي يبين الفكرة التي تتحدث عن السنن، والضوابط التي تتحكم في حركة التاريخ، وكذلك أسلوب بيان السنن من خلال المصاديق.

إضافة إلى ما تقدم فقد تعرفنا إلى ثلاث خصائص للسنن التاريخية استطاع السيد الشهيد أن يستنبطها من خلال استقرائه للنصوص القرآنية واستعراضها، وهي :

١- الإطراد ٢- الربانية ٣- اختيار الإنسان.

ثم تعرفنا إلى مجال السنن على الساحة التاريخية، فهي ليست جميعاً خاضعة للسنة التاريخية، بل إن هناك جزءاً منها هو الذي تحكمه سنن التاريخ.

واستطعنا ان نتعرف أيضاً إلى خصائص الظواهر التاريخية، والتي تختلف من ظاهرة لأخرى، كعلاقة الظاهرة بالهدف، وعلاقة العمل بالمجتمع.

وهناك ثلاثة أشكال لهذه السنن التاريخية في القرآن الكريم، أولها : شكل القضية الشرطية، القضية التي تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، وتؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، ثانيهما شكل القضية الفعلية، حيث تصاغ بلغة التنجز والتحقق بلحاظ زمان ومكان معينين، وثالثهما: السنن الاتجاهية (السنة المصاغة على صورة الاتجاه الطبيعي).

وأما في المبحث التطبيقي الآخر، والَّذي كان بعنوان (عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم)، والَّذي تعرفنا من خلاله إلى العناصر التي تربط المجتمع، وهي:

١- الإنسان . ٢- الأرض . ٣- العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة من جانب، وبأخيه الإنسان من جانب آخر. وقد عبر القرآن عن هذه العلاقة بالاستخلاف، وأنها سنة من سنن التاريخ ومن النتائج التي توصلنا إليها أيضاً الآلية التي عرف فيها السيد الشهيد ظاهرة الاستخلاف، والتي تعتبر من أهم سنن التاريخ، والتي تتكون من ثلاثة أطراف هي :

المستخلِف، وهو الله سبحانه وتعالى.

المستخلَف [الخليفة]، وهو الإنسان.

المستخلف عليه، وهو الطبيعة وبقية الناس.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الصيغة بنحوين :

الأول : اعتبار الاستخلاف مظهراً للفاعلية الربانية من زاوية العطاء.

الثاني : اعتبار الاستخلاف مظهراً للفاعلية الإنسانية من زاوية قبول الإنسان لهذا العرض، وإضافة إلى ما تقدم استطعنا أن نصل إلى أن الإنسان هو الأساس في حركة التاريخ، فالمستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية، والوجود الذهني هو المحرك لذلك بما يتضمنه من (الأفكار) و (الإرادة)، فالأفكار هي: ما يحمله الإنسان من مفاهيم حيال الهدف، وأما الإرادة فهي التي تحفزه على التحرك لتحقيق ذلك الهدف، وبالامتزاج بينهما – الفكر والإرادة– تتحقق فاعلية المستقبل.

ولقد تمحورت نظرية السيد الشهيد الصدر حول تبني المثل الأعلى وانعكاساته على المجتمعات القديمة والحديثة و تفسيره وتحليله للظواهر المشار إليها على ثلاثة أمور: النص القرآني من جانب، وعلى تذوقه الشخصي من جانب آخر، وعلى خبرته الاجتماعية ثالثاً.

وختم السيد الشهيد هذا البحث في تقسيمه للمثل الأعلى إلى ثلاثة أقسام: المثل الأعلى المنخفض، وهو الَّذي يستمد تصوره أي (مادته) من الواقع الَّذي يعيشه الإنسان، وثانياً المثل العليا المشتقة من طموح محدود، ويفترق هذا المثل عن سابقه بأن هذا المثل مشتق من طموح الأمة وتطلعها إلى المستقبل، ولذلك فإنه يحفز الأمة نحو الطموح والتجدد والإبداع، بينما المثل الأول عبارة عن تعبير مكرر عن الواقع، وهذا المثل لا يخلو من صحة، ولكنَّها عدم استيعاب الإنسان لهذا الطريق الطويل، بسبب نظرته المحدودة.

والنوع الثالث هو المثل الأعلى الحقيقي، وهو (الله سبحانه وتعالى) المثل الكامل. ويتوقف تبني هذا المثل على ثلاثة شروط :

١- لا بد من امتلاك السِّيرة البشرية رؤية واضحة لهذا المثل، متمثلة بعقيدة التوحيد.

٢- ولا بد من امتلاك طاقة روحية مستمدة من المثل، وهي تتمثل في عقيدة بـ(يوم القيامة).

٣- يتميز هذا المثل بانفصاله عن الإنسان، و يستدعي وجود صلة موضوعية بين الإنسان وهذا المثل، و تتجسد هذه الصلة بالنبي عليه السلام.

وفي نهاية المطاف أشرنا إلى التفريق قام به السيد الشهيد الصدر بين المثل الأعلى والفرعوني.

وقد تميز بهذا الطرح عن غيره من العلماء المختصين في علم الاجتماع باعتماده على البعد الإسلامي في ذلك.

كما ألتمس العذر عن أي تقصير قد صدر مني ، فالله هو الرحيم الغفار:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]،﴿وَالَّذي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[2].

أسأل المولى سبحانه أن يتقبل منا هذه البضاعة المزجاة يوم لاينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين، والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً.

---

١ - الزمر:٥٣.

٢ - الشعراء:٨٢.

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد، النهاية في غريب الحديث، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢. ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥هـ

٣. أبو طبرى، هدى المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم (حقيقته ومصادره وتطبقاته)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : عدنان داوودي، طليعة النور، قم، ط١، ١٤٢٦هـ

٥. آل موسى، علي، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (قراءة في المنهجين الجمعي والكشفي) دار كميل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م.

٦. آيازي، محمَّد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط ١ ، طهران، ١٤١٤هـ ق.

٧. جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، مصر، ط٢، ١٣٥٠هـ.

٨. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩. الحائري ،كاظم، مباحث الأصول، منشورات المكتب، دار البشير ،ط٢، ١٤٢٦ هـ.

١٠. الحسيني، محمَّد، الإمام الشهيد الصدر دراسة في منهجه، دار الفرات، بيروت،ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١١. الحسيني، محمَّد، محمَّد باقر الصدر حياة حافلة وفكر خلاق، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ ـ٢٠٠٥م .

١٢. الحكيم، محمَّد باقر، علوم القرآن، دار التعارف، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، الأردن.

١٤. خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٥م .

١٥. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣ ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٦. دراز، محمَّد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، لم يذكر رقم الطبعة،١٤٢٥م - ٢٠٠٢م.

١٧. دراز، محمَّد عبد الله، دستور الأخلاق بالقرآن، تعريب : عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلميَّة، الكويت، ط١، ١٣٩٣ـ١٩٧٣م.

١٨. الدغامين، زياد خليل محمَّد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار البشير ط١، عمان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

١٩. الذهبي، محمَّد حسين، التفسير والمفسرون، آوند دانتس للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٥م.

٢٠. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢١. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد لله، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٢٢. السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٤٠٤هـ

٢٣. سلامة ، محمَّد علي ، قراءة في اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ١٩٩٤

٢٤. السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون رقم طبعة وتاريخ .

٢٥. شرف الدين ، عبد الحسين ، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، تحقيق عبد الله شرف الدين ، الدار الاسلامية ، بيروت ،ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦. الشيرازي، محمَّد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٧. شيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، مطبعة الحيدري، قم، بدون رقم الطبعة وذكرالسنة .

٢٨. شيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار نشر مدرسة علي بن أبي طالب، قم، ط١، التصحيح الثَّالث، ١٤٢٦هـ ق ـ ١٣٢٨هـ ش.

٢٩. الصالح، صبحي، نهج البلاغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٠. الصدر، حسن، تكملة أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٦ هـ.

٣١. الصدر، محمَّد باقر، السنن التاريخية في القرآن، ترتيب محمَّد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت،لم يذكر رقم الطبعة، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٣٢. الصدر، محمَّد باقر، المدرسة القرآنية، رابطة أهل البيت العالمية الإسلامية، بدون رقم الطبعة والتَّاريخ.

٣٣. الصدر، محمَّد باقر، دروس في علم الأصول، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، ط٦، ١٤٢١هـ.ق.

٣٤. الصغير ، محمَّد حسين، دراسات قرآنية، مركز النشر، مكتب الاعلام الإسلامي،ط٢، ١٤١٣هـ.ق.

٣٥. الطباطبائي، العلامَّة محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م.

٣٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٢، ١٢٤٥هـ ـ ٢٠٠٥ م.

٣٧. الطوسي، الشيخ محمَّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الإعلام الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٩هـ

٣٨. العاملي، أحمد عبد الله أبو زيد، محمَّد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م

٣٩. عبيدو، حسن يونس حسن، دراسات ومباحث في تاريخ التَّفسير ومناهج المفسرين، مركز الكتَّاب للنشر، القاهرة، بدون ذكر السنة ورقم الطبعة.

٤٠. العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٤١. العمري، أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجى، القاهرة.

٤٢. العياشي، محمَّد بن مسعود، تفسير العياشي، المكتبة العلميَّة الاسلامية، طهران، لم تذكر سنة الطبع.

٤٣. الغزالي، محمَّد بن محمَّد، المستصفى من علم الأصول، دار الذخائر، قم، ط٢ ، ١٣٦٨ هـ.ش.

٤٤. قضايا إسلامية، العدد ٧، فكرية إسلامية تصدرها مؤسسة الرسول الأعظم، قم، ١٤١٧هـ ت -١٩٩٦م.

٤٥. كسار، جواد علي ، مقارنات بين السيد الصدر وآخرين ، مؤسسة الثقلين ، بيروت ، ط١ ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٦. الكفيشي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٧. المجلسي، باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٩٢م .

٤٨. -محمَّد مهدي ، شمس الدين ، الاجتماع السياسي والإسلامي ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٢م

٤٩. مرتضى، مطهري، المجتمع والتاريخ، دار المرتضى، بيروت، لم تذكر الطبعة، ١٤١٣هـ ت -١٩٩٣م.

٥٠. معرفة، محمَّد هادي، التفسير والمفسرون، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٩ هـ.ق ـ ١٣٧٧ هـ.ش .

٥١. المنجد في الأعلام واللغة، دار المشرق، الطبعة السابعة والثلاثون، ١٩٩٨، بيروت، لبنان .

٥٢. الميبدي، محمَّد فاكر، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، مركز التحقيقات والدراسات العلميَّة التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٥٣. نشار ، سامي ، نشأة الفكر الفلسفي ،دار المعارف ، ط٩، القاهرة.

٥٤. النعماني، محمَّد رضا، سنوات المحنة وأيام الحصار، بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

٥٥. النوري، حسن جابر، بحوث في التفسير الموضوعي، -السنن التكونية والاستشراف ، حوزة الإمام الخميني، دمشق ، ط١، ١٤٢٨هـ ت ٢٠٠٧م.

٥٦. النوري، حسن جابر، بحوث في التَّفسير الموضوعي، حوزة الإمام الخميني، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

٥٧. نويهض، عادل، معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان،ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٨. هيشور، محمَّد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العاي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م .

الفهرس

المقدِّمة _____ ٥

أهميّة الموضوع : _____ ٨

الفصل الأول _____ ١٤

(قبسات من سيرة الشهيد الصدرقدس سره) _____ ١٤

المبحث الأول: السيرة الذاتية. _____ ١٤

المبحث الثاني: السيرة الفكرية. _____ ١٤

المبحث الثالث: الحياة السياسية. _____ ١٤

المبحث الأول: السيرة الذاتية _____ ١٥

التعريف بنسبه الكريم : _____ ١٥

ولادته : _____ ١٦

نشأته : _____ ١٧

التعريف بالأسرة الكريمة : _____ ١٨

ألقابها: _____ ١٨

السيد إسماعيل الصدر رحمه الله: ١٩
أولاده : ٢١
السيد حيدر الصدر : ٢١
السيد إسماعيل السيد حيدر الصدر : ٢٢
آمنة العلوية: ٢٤
ولادتها: ٢٤
نشأتها: ٢٥
دراستها: ٢٥
نتاجاتها ومساهماتها: ٢٦
وفاء الأخوة: ٢٧
المبحث الثاني : سيرته الفكرية ٢٩
١- الذكاء المفرط : ٢٩
٢- دراسته الدينية (الحوزوية) : ٣٠
٣- تعليقته على بلغة الراغبين : ٣٣
٤- بعضاً من ذكرياته نقلاً عن طلابه: ٣٥

٥- إنجازاته العلميَّة: ٣٨
٦- انجازاته الفكرية: ٣٨
٧- ما كتب عنه: ٤٠
المبحث الثالث :الحياة السياسية ٤٢
اعتقالات السيد الشهيد الصدر ٤٢
١- الاعتقال الأول ٤٣
٢- الاعتقال الثاني ٤٤
٣- الاعتقال الثالث ٤٦
٤- الاعتقال الرابع والأخير. ٥١
اليوم المشؤوم: ٥٢
خبر الاستشهاد : ٥٤
مكان الدفن ٥٤
الفصل الثاني ٥٦
أصول التفسير الموضوعي ٥٦
المبحث الأول: التعريف بالأسلوب، والمنهج، والمناهج التفسيرية. ٥٧

مناهج المفسرين : ٥٩

١- المنهج الأثري: ٦٠

خصائص هذا المنهج : ٦٠

أشهر كتب التفسير بالمأثور : ٦٢

أ- تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي،(ت:٣٢٩هـ). ٦٢

منهجه في التفسير: ٦٣

ب- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت:٩١١هـ). ٦٣

منهجه في التفسير : ٦٤

٢- منهج التفسير بالرأي : ٦٥

معنى التفسير الرأي؟ ٦٥

خصائص هذا المنهج: ٦٧

ومن نماذج التفسيروفق هذا المنهج: ٦٧

أ- مفاتيح الغيب: لمحمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي الملقب بفخر الدين الرَّازي: ت٥٤٤ هـ). ٦٧

منهجه في التفسير: ٦٨

ب- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنَّسفي. ٦٨
منهجه في التفسير: ٦٩
علماء الإمامية والتفسير بالرأي. ٧٠
منهجه في التفسير: ٧١
ب- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للسبزواري. ٧٢
منهجه في التفسير : ٧٢
٣- المنهج اللغوي: ٧٣
خصائص هذا المنهج: ٧٥
٤- التفسير البياني: ٧٥
خصائص هذا المنهج: ٧٦
٥- المنهج الصوفي (الباطني): ٧٧
خصائص هذا المنهج : ٧٧
أعمدة هذا المنهج : ٧٧
نماذج من تفسير ابن العربي: ٧٧
٦- المنهج العلمي : ٧٨
رواده: ٧٨

الجواهر في تفسير القرآن نموذجاً : ٧٩
منهجه في التفسير : ٧٩
٧- المنهج الفلسفي: ٨٠
رواده: ٨٠
صدر المتألهين: ٨٠
منهجه في التفسير: ٨١
مميزات منهجه: ٨١
٨- المنهج الفقهي : ٨١
أهم كتب هذا المنهج : ٨١
٩- المنهج الاجتماعي : ٨٢
(أسلوب التفسير الموضوعي). ٨٤
المبحث الثاني:تاريخ التفسير الموضوعي ٨٤
ب- ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام : ٨٧
أسباب ظهور التفسير الموضوعي ٩٠
نشأة التفسير الموضوعي في العصر الحديث. ٩١
ألوان التفسير الموضوعي ٩٤

المبحث الثالث: أسس وقواعد التفسير الموضوعي ٩٥
أ- قواعد التفسير(العامة): ٩٥
ب- القواعد الخاصة: ٩٨
الفصل الثالث ١٠١
المبحث الأول: معنى التفسير الموضوعي عند الصدر ١٠٢
مقارنة بين منهج الصدر وآخرين. ١٠٩
أولاً: الترابط : ١٠٩
ثانياً: الانفتاح على الواقع ووعيه : ١١٠
منهج الدكتور محمَّد عبد الله الدراز ١١٢
المبحث الثاني :مقارنة بين التفسير التجزئي و الموضوعي ١٢١
(إيجابيات وسلبيات التفسير الموضوعي) ١٢١
مقارنة الدكتور الخالدي: ١٢٣
المبحث الثالث: شروط التفسير الموضوعي ١٢٦
أولاً- الذهنية الإسلامية: ١٣٠
ثانياً- الاندماج الكلي في القرآن ١٣٢
ثالثاً: المنهجية في التفسير ١٣٣

(منهجية البحث في التفسير الموضوعي) ١٣٣

أهميّة التفسير الموضوعي وفوائده: ١٣٦

ما ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ١٣٧

الفصل الرابع ١٣٩

المبحث الأول : السنن التاريخية في القرآن الكريم. ١٤٠

التعريف بالسنن وموارد لفظها في القرآن الكريم : ١٤١

أ- تعريف السنة(لغة): ١٤١

ب- السنة اصطلاحاً : ١٤٢

ج- لفظ السنة في القرآن الكريم: ١٤٣

٢- هل للقرآن عطاءات في مجال سنن التاريخ؟ ١٤٨

٣-أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ ١٥١

الأسلوب الأول:الضوابط التي تتحكم في حركة التاريخ . ١٥٢

الأسلوب الثاني: بيان السُّنن من خلال المصاديق : ١٥٣

ث- صراع الأنبياء مع المترفين : ١٥٥

٦- مجال السنن على الساحة التاريخية ١٥٩

٧- خصائص الظواهر التاريخية : ١٦٠

أ- علاقة الظاهرة بالهدف : ١٦١

ب- علاقة العمل بالمجتمع : ١٦٢

٨- أشكال السنن التاريخية في القرآن الكريم. ١٦٢

ثانياً : شكل القضية الفعلية. ١٦٤

ثالثاً: السنن الاتجاهية (السنة المصاغة على صورة الاتجاه الطبيعي). ١٦٥

المبحث الثاني : ١٦٦

عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم ١٦٦

عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم ١٦٧

أ- الإنسان الأساس في حركة التاريخ : ١٧٣

ب- المثل الأعلى منطلق لبناء الإنسان. ١٧٥

أ- المثل الأعلى المنخفض ١٧٦

الإجراءات التاريخية تجاه الأمة المنهارة : ١٨٠

شروط المثل الأعلى الحقيقي: ١٨٧

أ- علاقة الإنسان مع الطبيعة ١٨٩

ب- علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان ١٩٠

الخاتمة ١٩٤

المصادر _____ ٢٠٢

الفهرس _____ ٢٠٩

تم الكتاب بحمد رب الارباب